

منذر الأسعد

مكتبة العبيكان

منذر الأسعد

براءة الصحابة من النفاق

تفنيد اتهامات «يوسف أبو هلالة» للصحابة بالكذب والنفاق

 مكتبة العبيكان ، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأسعد، منذر سليمان

براءة الصحابة من النفاق. ـ الرياض.

... ص؛ ... سم

ردمك ٢ ـ ٣٠٤ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الصحابة والتابعون أ ـ العنوان

ديوي ٩، ٢٣٩ ١٧/٢٠٥٧

ردمك ٢ ـ ٣٠٤ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٧/٢٠٥٧

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ/١٩٩٧م

النـاشـر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون* ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾

[سورة إبراهيم : ٢٤ - ٢٧]

﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾

[سورة فاطر : ٨]

﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾

[سورة محمد : ١٤]



توطـــئة

الحمد للَّه القائل في محكم التنزيل :

﴿اليـــوم أكـملت لكـم دينكم وأتممت علـيكم نعـمـــتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ .

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك . .

أما بعد :

فقد شاء اللَّه - تبارك وتعالى - أن ألتقي على غير موعد ، الدكتور : يوسف أبو هلالة(*) ، وكنت أسمع عنه خيراً ، وأن له إسهاماً في الأدب الإسلامي محموداً . . . ثم تشعب الحديث بحضور أصدقاء كرام من المدرسين في مدارس نجد ومنهم الأساتذة : موسى العباس وأحمد القدومي وخليل الصمادي و . . . . ، فإذا بالرجل يشن هجوماً ضارياً على أهل الحديث النبوي لقولهم بعدالة الصحابة ، زاعماً أنه لا سبيل إلى تمييز الصحابي المؤمن من المنافق الزنديق ! ! ولذلك فليس ما يمنع من أن يتعمد بعضهم الكذب على الوحي ، باختلاق أحاديث ونسبتها إلى المصطفى ﷺ .

(*) لأن «أبو هلالة» اسم عائلة الدكتور يوسف وليس كنيته ، جرى استخدامه على حاله بصرف النظر عن موقعه من الإعراب .

وحـــاولـت أن أوضـح لـه خطـورة هـذا المنزلق، أو أن أفنـد دعـاواه البـاطلة، فـإذا بـه يأبى الحـوار النظيف، ولا يتيح لمخالفه فرصـة للتعبير عن وجـهـة نظره . . وعنـد هذا الحـد اضطـررت أن أدعـوه إلى منـاظرة، فـقـال : إنه يعـد العـدة لإظهـار آرائه هذه مكتوبة!!

وبعـد أيام حـدثـتُ أصـدقـاء - ومنهم : الدكـتـور عبـد الجبـار الزيدي والأسـتـاذ إبراهيم الماجـد- حدثـتـهـم عـمـا سمـعـتُه من أبي هلالة مع حـرصي على ألا أبوح باسـمـه فـإذا ببعضـهـم يقـولـون : أليس القائل هو : يوسف أبو هلالة؟!.

وتبددت دهشتي إذ اتضح أن الرجل يطرح ادعاءاته تلك في كل مـحفل يحضـره، بما في ذلك قـاعـات الدراسـة الجامعيـة أمـام طلابه(*) .

هنالك استقر في ضميري أن أرد على ما طرحـه الدكتور أبو هلالة من شبهات، من غير أن أسميه، لأن الهدف ليس التشهير بشـخص كائناً من كـان، وإنما تجلية الحقيقة لمن قـد تضلله المزاعم التي لا أنكر أنهـا تثير بلبلة لمست شـيئـاً منهـا لدى آخـرين، لا يدركـون خطأها . إلا أن الرجـل لم ينشـر شـيئـاً حـتى تـاريخـه

(*) نشر الدكتور حسن أحمد الحياري أفكاراً من هذا القبيل [مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٢٧، العدد ١، ربيع ١٩٩٢م، ص٤١-٨١، والمجلد نفسه، العدد ٢- صيف ١٩٩٢م، ص٥-٦١].

ليكون ردي على كتابته، وهو ما اضطرني إلى الجهر باسمه لئلا يكون الحديث عن مجهول العين.

وإذ أضع هذه الصفحات أمام القراء الأفاضل، أرجو من ربي -سبحانه- أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها من سمع بهذه الأباطيل فشوشت عليه الحقائق، ومن يريد التزود لمواجهة من يروجون لهذه الافتراءات.

وأعوذ بالله من فتنة القول وفتنة العمل، وأسأله -عز وجل- أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وأما يوسف أبو هلالة فأدعوه إلى أن يقرأ هذه الرسالة بروح الباحث عن الحق، فليس من طلب الحق فأخطأه مثل من طلب الباطل فأصابه -كما يروى عن الإمام علي «رضي الله عنه»-. إن الرجوع عن الخطأ فضيلة، ولهذا صعد أبو الحسن الأشعري منبر الجامع في البصرة، ليعلن رجوعه عن ضلالات المعتزلة إلى معتقد أهل السنة والجماعة[1]، آملاً أن ينجو -إن شاء الله- في الأخرى، وارتفع شأنه عند أهل الحق في الدنيا.

وعلم الله أن المسألة بيني وبين صاحب مقولات الزيف عن الصحابة مسألة اعتقاد أدين لله به، وليست خصومة

---

(١) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإبانة عن أصول الديانة، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ، ص ٣، ٤.

شخصية . . . وهذا ما يجعلني على أتم الاستعداد للرجوع عن أي موقف في كتابي هذا، يتضح أنه مخالف للحق أو مجاف للصواب . .

فالخطأ من نفسي ومن الشيطان .

ولا يسعني أن أختم هذه المقدمة دون إزجاء الشكر إلى الأخ الكريم : خالد بن عيسى عسيري ، لما أسداه إليَّ من عون كريم في تخريج الأحاديث النبوية الواردة في هذا الكتاب ، فجزاه اللَّه خيرا .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين ، وصلى اللَّه على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه البررة الميامين ، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

الفقير إلى عفو ربه

منذر بن سليمان الأسعد

حرر بمدينة الرياض يوم السبت

٢٨ ربيع الآخر ١٤١٦هـ

مضمـــون الدعـــوى

إن أبرز البنود في ادعاءات الدكتور يوسف، ما يلي:

١ - أن أهل السنة يبالغون في القول بعدالة الصحابة مع أن بعضهم ارتد!!

٢ - أنهم يعدون معاوية بن أبي سفيان صحابياً عدلاً، برغم كل ما فعل، وكذلك عمرو بن العاص....

٣ - أن معظمهم من النواصب الذين يبغضون الإمام علي ابن أبي طالب وذريته من آل البيت الكرام، بدليل موقفهم مما شجر بينه وبين معاوية، وبدليل أن البخاري ومسلماً لم يرويا عن جعفر الصادق ولو حديثاً واحداً... وبدليل أن اسم «علي» من الأسماء النادرة عندهم[1]...

(١) من المثير للسخرية أنه استشهد لهذه المقولة بأن الأسرة السعودية المالكة ليس فيها من يسمى «عليا»، ورغم تهافت هذه الحجة لأن أسرة واحدة حتى لو بلغ عدد أفرادها بضعة آلاف ليست حجة على مئات الملايين، ورغم أن عدم التسمية باسم ما ليس دليل خصومة معه، فإن الهوى جعله يتناسى أنه ليس فيها -في حدود علمي- أشخاص يحملون أسماء: أبو بكر وعثمان وعمر!! فهل يقوده منطقه الجائر إلى أن أهل السنة يبغضون جميع الخلفاء الراشدين؟.

٤ - استحالة التمييز بين الصحابي والمنافق.

٥ - اعتراف ابن شهاب الزهري بأنه كذب في الحديث النبوي لصالح الأمويين[١].

(١) من أمارات المكابرة أنه -في حديثه المذكور- أحال هذه الأكذوبة إلى الدكتور مصطفى السباعي «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي»، رافضاً ما أوضحه السباعي من الحق رداً على مفتريات المستشرقين وأشياعهم في حق واحد من أفاضل علماء السلف وهو ما سيتضح فيما بعد في هذا الكتاب.

في الإجــراءات

قبل بيان الحق إزاء الأباطيل الموضحة فيما سبق لابد من التنبيه إلى أنه لا جديد فيها، فالعداء للصحابة والسنة الشريفة قديم، وتلك المقولات مشهورة منذ قرون، وهي المقولات التي تبناها غلاة المستشرقين الحاقدين -من أمثال: لامانس، وجولد زيهر. . . .، فغرَّبوا بها وشرَّقوا في إطار غاياتهم المريضة، وأهمها: العمل على تشويه رسالة الإسلام. .

على أن بدعة التطاول على الصحابة -كلهم أو جُلهم- لم تظهر بصورة جماعية سافرة في القرن الهجري الأول، وكذلك بدعة رفض السنة النبوية بذريعة جرح عدالة الصحابة. . سواء في ذلك الذين انحازوا إلى علي رضي الله عنه، والذين قاتلوه في موقعة الجمل أو صفين أو النهروان، والذين اعتزلوا الجميع. . لم يُرَدَّ خلال ذلك كله حديث نبوي واحد من أي فريق لطعن في رواته من الصحابة، وإنما كانت الحجج التي بنى عليها كل فريق موقفه، تدور حول فهم النصوص الشرعية -قرآناً وسنة- وحول تأويلها. . . وهذا ما سنقدم البراهين عليه في موضعه.

ومن المفارقات، أن الإساءة إلى الصحابة ظهرت في الأصل على يد بعض الولاة الظالمين في العهد الأموي، وهم من النواصب المبغضين لآل البيت، كالحجاج بن يوسف الثقفي وعبيد اللَّه بن زياد[1] ، فهذه البدعة المنكرة بدأت على أيدي أعداء البيت، وذلك بخلاف ما يروم الدكتور أبو هلالة تصويره!!!

* ولم تبرز هذه البدعة الغليظة في هيئة تيار جماعي[2]، إلا في فترة متأخرة عند بعض رؤوس المعتزلة الذين وضعوا أهواءهم في مصادمة مع النصوص الصريحة، زاعمين أنهم احتكموا إلى العقل، مع أن العقل السليم يدحض تخرصاتهم..

وإن كان الإنصاف الذي تعلمناه من كتاب ربنا وسنة نبينا، يقتضي منا التنويه إلى أن المعتزلة -على تخبطهم منذ البداية- كانوا يلتزمون السنة النبوية معظم القرون الثلاثة المفضلة، وذلك ما نص عليه الخياط المعتزلي في كتابه «الانتصار» الذي ألَّفه قبل سنة ٣٠٠ هجرية[3] !!.

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ط٤، دار المعارف/ بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٨/ ٢٨٥، و٩/ ٦٥.

(٢) لا ينسى المرء هنا أن يشير إلى ضلال الخوارج الذين كفَّروا عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأصحاب الجمل... غير أن المقصود في البحث اتهام الصحابة بالنفاق عامة، وبالكذب على الوحي خاصة.. [انظر: الفرق بين الفرق ـ البغدادي ـ ص٥٤].

(٣) الأعظمي، محمد مصطفى، مناهج المستشرقين، عدة باحثين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، بحث: المستشرق شاخت والسنة النبوية، ص ٨٨، ٨٩ .

بعد ذلك ظهر الطعن في الصحابة وفتاواهم، فنسبهم الضالون المضلون إلى الجهل أو النفاق - والعياذ بالله-، وبعض المعتزلة شكك في عدالة علي وابنيه وابن عباس وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين، وقال واصل بن عطاء: لو شهد عندي علي وطلحة على باقة بقل، لم أحكم بشهادتهما، لعلمي بأن أحدهما فاسق وإن كنت لا أعرفه بعينه!!

أما عمرو بن عبيد فيفسّق الفريقين معاً بأعيانهما[1] !!

ثم فشت هذه البدعة النكراء في غلاة الشيعة والخوارج..

وفي عصرنا الحديث أنعشها المستشرقون المتطرفون في عداوتهم للإسلام، وبخاصة جولد زيهر وشاخت وشبرنجر... وسار على نهجهم من تأثر بهم من أبناء المسلمين، كجماعة «القرآنيين» التي نشأت في شبه القارة الهندية، وطه حسين في «الفتنة الكبرى»، وأحمد أمين في «فجر الإسلام» وأبي رية في «أضواء على السنة المحمدية» وحسين أحمد أمين- في: «دليل المسلم الحزين».......

---

(١) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ط٥، دار الآفاق الجديدة بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٣٠٥، ٣٠٦.

على أن غلاة المستشرقين والمنصرين لم يبلغوا ما بلغه المبهورون بهم، فجولد زيهر وشاخت يزعمان عدم صحة الأحاديث النبوية، غير أنهما يلقيان مسؤولية الوضع فيها على التابعين، وشبرنجر يكاد يحصر افتراءاته في أبي هريرة . .

في حين تصل فرية تكذيب الصحابة عند حسين أمين إلى الغالبية العظمى منهم[1] !! بل تراه يؤيد علي عبد الرازق في تزوير حقائق التاريخ الناصعة، باتهامه أبا بكر الصديق بأنه لم يحارب المرتدين مانعي الزكاة دفاعاً عن الدين، وإنما للسياسة والذود عن دولة العرب (مع أن المرتدين كانوا جميعاً من العرب!) وعن مصالح قريش (علماً بأن هذا الدين لم ينتشر إلا بعد عدة حروب بين رسول اللّه ﷺ والمسلمين في جهة، وقريش في جهة أخرى!!)[2] .

---

(١) أمين، حسين أحمد، دليل المسلم الحزين، ط٣، مكتبة مدبولي بالقاهرة، ١٩٨٧م، ص٥٩ (وجمع معه كتاب: حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ط٢) .

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٧ - ٢٩١ .

وانظر للرد على مقولاته هذه: الأسعد، منذر، إسلام آخر زمن، جـ١، ط١، دار المعراج الدولية للنشر بالرياض، ١٤١١هـ، ص ٥٥-٧٠ .

خطورة الدعــوة..

من حق القارئ أن يسأل عن الفائدة من دحض شبهات لا جديد فيها، لا سيما أن العلماء المخلصين كتبوا في بيان تهافتها مؤلفات عدة، منذ ابن قتيبة -رحمه اللَّه-. غير أن دواعي تسطير هذا الرد، هي:

١ - أن الداعين إلى هذه الفرية في عصرنا، إما أنهم من اللادينيين (العلمانيين) المفضوحين، وإما أنهم من أتباع طوائف معروفة بشططها. . .

في حين أن الدكتور أبو هلالة هذا ليس من الفريقين، فهو معروف لدى الناس بأنه شاعر إسلامي، وذلك ما يلبس أمره ويسهل قبول كلامه، فيغتر بدعاواه قليلو الاطلاع على العلوم الشرعية وحقائق تاريخ الصدر الأول.

٢ - أن بعض مستندات ادعاءاته غير مشتهرة في زماننا، والردود عليها كذلك.

٣ - أنه يبث مفترياته بين طلبته في الجامعة.

٤ - أن مسألة النفاق لم تحرر -فيما أعلم- تحريراً شافياً، لأنها لم تطرح من قبل على يدي شخص ينتمي إلى أهل السنة.

٥ – أنه اشتط في مزاعمه الظالمة، في حين نطالع مواقف منصفة من بعض المستشرقين ولدى مفكرين غير مسلمين، من أمثال المؤرخ اللبناني: أسد رستم، الذي يقول في مقدمة كتابه «مصطلح التاريخ» عن رسالة في مصطلح الحديث للقاضي عياض: (إن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان: «تحري الرواية والمجيء باللفظ»، يضاهي ماورد في الموضوع نفسه في كتب الفرنجة في أوربا وأمريكا.. وبعض القواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها وبعض الأنظمة التي أقرها علماء أوربا فيما بعد في بناء علم المنهجية «المثودلوجية».

ولو أن مؤرخي أوربا في العصور الحديثة اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدِّثين لما تأخروا في تأسيس علم «المثودلوجية» حتى أواخر القرن الماضي.. فنؤكد لهم أن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا، ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده..)[1].

---

(١) الكيلاني، إسماعيل، لماذا يزيفون التاريخ، ط١ المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٣٠٠-٣٠١.

الفصل الأول



نبدأ مناقشة الشبهات من الفرية القائلة: إننا نغلو في صحابة النبي الكريم - رضوان اللّه عليهم-.. ونستهلها ببيان مصطلح «الصحابة».

قال الشيخ محمد أبو شهبة -رحمه اللّه-[1]:

الصحابي -في عرف العلماء وأئمة الحديث- هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، فمن ارتد ومات على ردته بطلت صحبته، ومن تاب وعاد إلى الإسلام عادت إليه الصحبة على الأصح... ومن أظهر الإسلام وأبطن الكفر من أهل النفاق فهو بمعزل عن شرف الصحبة، وقد تكفل اللّه ورسوله بالكشف عن نفاق هؤلاء.

والجمهور من العلماء على أنه لا يشترط في الصحبة طول الوقت ولا الجهاد والإنفاق في سبيل الإسلام، وبعض العلماء اشترط في الصحبة طول الملازمة والمعاشرة، وأن يكون -الصحابي- غزا مع النبي ﷺ غزوة أو غزوتين.

ومع ذلك فإن الجمهور يرون أن من طالت صحبته للنبي ﷺ أو سمع منه أو غزا معه أو بذل نفسه وماله في نصرته، أحق

(١) أبو شهبة، محمد بن محمد - دفاع عن السنة، ط٢، دار اللواء بالرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٠٨.

بالفضل وأولى بالتقديم ممن ليس كذلك. . .

ومن ليس له منهم سماع من النبي فحديثه مرسل من حيث الرواية، وإن كان له شرف الصحبة.

وابن الأثير الجزري يتناول المسألة بصيغة أخرى، فيميز بين المعنى الوضعي للصحبة الذي ينطبق على من صحب النبي ﷺ ولو ساعة، والعرف الذي يخصص الاسم بمن كثرت صحبته، ويتم تحديد تلك الكثرة بتقريب لا بتقدير.

وقيل: هو من اجتمع فيه الأمر السابق وأن تكون صحبته معه طالت على سبيل الأخذ عنه والاتباع له، لأن من أطال مجالسة العالم لا على سبيل الاستفادة والاتباع له لا يدخل في زمرة أصحابه. وهو خلاف -كما ترى- بين الأصوليين وعلماء الحديث[1]، لا يؤثر في جوهر المسأله التي نبحثها.

(١) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تصحيح وتعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، د. ت، ج٧، ص ٣-٥. وانظر: ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، دار الفكر/ بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ١/ ١٤٣، وعتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ط٣، دار الفكر/ دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص١١٦، ١١٧، وابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، سؤال في معاوية بن أبي سفيان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٤.

عدالة الصحابة

يعتقد أهل السنة أن الصحابة كلهم عدول، ومعنى عدالتهم أنهم لا يتعمدون الكذب على رسول اللَّه ﷺ لما اتصفوا به من قوة الإيمان والتزام التقوى والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور.

وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط، فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم[1]، ولم يخالف في عدالتهم إلا شذاذ من المبتدعة وأهل الأهواء، الذين لا يعتد بأقوالهم وآرائهم لعدم استنادها إلى برهان[2].

فأين الغلو المزعوم في الصحابة، وهذا ابن تيمية يقول: الصحابة يقع من أحدهم هنات، ولهم ذنوب وليسوا معصومين لكنهم لا يتعمدون الكذب، ولم يتعمد أحد الكذب على النبي إلا هتك اللَّه ستره[3].

(١) أبو شهبة، دفاع عن السنة، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص ٣٥٢، ٣٥٣، وانظر: عتر، منهج النقد في علوم الحديث، مرجع سابق، ص١٢٢.

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية، مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض، د. ت، ١/٣٠٦-٣٠٧.

صفات الصحابة في القرآن

إن مصدر القول بعدالة الصحابة، هو التزكيات السماوية لهم، فاللَّه -عز وجل- أخبرنا عن طهارتهم وأنهم خير جماعة بشرية -بعد الأنبياء- . .

قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وحاش للَّه أن يختار شهداء زور يكذبون عليه -سبحانه- وعلى نبيه!!.

وقال - عز من قائل- : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللَّه**﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولذلك قال فيها عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: (لو شاء اللَّه لقال: «أنتم» فكنا كلنا، ولكن قال: «كنتم» خاصة في أصحاب محمد ﷺ ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس)[1] .

بل إن شمائل الصحابة مذكورة في رسالات أنبياء سابقين:

(١) الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، تحقيق وشرح وفهرسة: نايف العباس ومحمد علي دولة، ط٥، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ٤٥.

﴿محمد رسول اللَّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من اللَّه ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد اللَّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[الفتح : ٢٩].

وعقب غزوة العسرة -أو تبوك- وهي آخر غزاة للنبي ﷺ ، نزل قول الحق -تبارك وتعالى-: ﴿لقد تاب اللَّه على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾[التوبة : ١١٧].

وخص اللَّه أهل بيعة الرضوان بتزكية عظيمة: ﴿لقد رضي اللَّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان اللَّه عزيزاً حكيماً﴾[الفتح : ١٨-١٩].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي اللَّه عنهم

ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[التوبة: ١٠٠]، وهذا نص قاطع إذ يتضمن ثناء صريحاً على التابعين للصحابة بإحسان، وشتان بين أمر اللَّه باتباعهم، وافتراء الحانقين عليهم بما يناقض النصوص القطعية في ثبوتها وفي دلالاتها!!

وهناك آيات أخرى تصف المهاجرين بالصدق والأنصار بالفلاح، فهل يسوغ لمؤمن أن يتهم بالكذب من نعتهم اللَّه بهذه النعوت؟..

يقول -تعالى-: **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من اللَّه ورضواناً وينصرون اللَّه ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾**[الحشر: ٨-٩].

وهنا يتأكد معنى موالاة الصحابة مرة أخرى: **﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين**

سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾[الحشر : ١٠].

ومع الأمر بالاتباع، فإن المكانة مختلفة، لأن شرف الصحبة والجهاد مع رسول اللَّه ﷺ لم يحظ به سوى من اختارهم اللَّه لصحبة نبيه وإبلاغ رسالته إلى العالمين. . ولذلك يكثر المقربون في الجنة من بين الصحابة، ويقل العدد ممن بعدهم، أما أصحاب اليمين فكثير من هؤلاء وأولئك :

﴿والسابقون السابقون* أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين﴾[الواقعة : ١٠ - ١٤].

أما أصحاب اليمين فهم : **﴿ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين﴾**[الواقعة : ٣٩-٤٠].

ويكفي للدلالة على ذلك كله قوله -تعالى- مخاطباً نبيه ﷺ : **﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك اللَّه هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين * وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللَّه ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾**[الأنفال : ٦٢ - ٦٣].

ويبقى من شنشنة المرجفين، التطاول على الذين أسلموا بعد فتح مكة، مع أن الإسلام يَجبُّ ما قبله: ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**....الآية﴾ [الأنفال: ٣٨].

وبخاصة أن كثيراً من مسلمة الفتح حَسُن إسلامهم وجاهدوا مع النبي ﷺ ومع خلفائه الراشدين، وهؤلاء وعدهم اللَّه الحسنى، ولو أنهم دون الذين آمنوا وجاهدوا وأنفقوا من قبل الفتح:

﴿**....لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاًّ وعد اللَّه الحسنى واللَّه بما تعملون خبير**﴾[الحديد: ١٠].

ولقد حصلت المودة معهم بعد العداوة تحقيقاً لوعد إلهي:

﴿**عسى اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة واللَّه قدير واللَّه غفور رحيم**﴾[الممتحنة: ٧].

الصحابة طبقات

ومما يؤكد عدم غلونا في الصحابة، أن أهل العلم صنفوهم طبقات بحسب النصوص الواردة في كل فئة، مع أن للجميع شرف الصحبة وسمة العدالة [عدم تعمد الكذب على الشارع].

يقول ابن حزم: نقول بفضل المهاجرين الأولين من بعد عمر قطعاً إلا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه، يليهم أهل العقبة فأهل بدر، فالمشاهد كلها -أي: الغزوات مع النبي ﷺ- مشهداً مشهداً، وأهل كل مشهد أفضل من أهل المشهد الذي بعده حتى يبلغ الأمر إلى أهل الحديبية، فهؤلاء كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة[1].

ويقول عبد القاهر البغدادي[2]: وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول اللّه ﷺ بدراً من أهل الجنة، وكذلك كل من شهد أُحُداً غير قزمان الذي استثناه الخبر، وكل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية. . .

وصنَّف علماء آخرون الصحابة في اثنتي عشرة طبقة، ومما

---

(١) السلفي، محمد لقمان، السنة: حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها، ط١، مكتبة الإيمان/ المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٣٤

(٢) الفرق بين الفرق -مرجع سابق- ص ٣٥٣. .

يشهد لعلماء السلف بورعهم في مسألة آل البيت وبني أمية، أنهم جعلوا علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه في الطبقة الأولى، أما مسلمو الفتح (ومنهم: معاوية بن أبي سفيان) ففي الطبقة الحادية عشرة[1].

حفظ للدين

قال الحافظ الكبير أبو بكر بن الخطيب البغدادي: .... على أنه لو لم يَرِدْ من اللّه -عز وجل- ورسوله فيهم -أي: الصحابة- شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها- من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين- القطع بعدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدِّلين والمزكِّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

وقال الإمام أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللّه ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن

(١) عتر، منهج النقد في علوم الحديث، مرجع سابق، ص: ١١٩ - ١٢٠.

أصحاب رسول اللّه، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أوْلى، فهم زنادقة»[1].

* * *

فالحقيقة الناصعة هي أن عدالة الصحابة أمر لازم لحفظ الإسلام، ولذلك سعى أعداء الإسلام إلى الطعن في مصدريه: القرآن والسنة، من خلال الطعن في الصحابة الذين بلغوهما، والتشكيك في عدالتهم، حتى وصل بهم الحقد إلى القول بفشل النبي ﷺ في دعوته -كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً-، في حين يأتي كاتب غير مسلم يدعى: مايكل هارت، في القرن الحالي حيث أمة الإسلام في أسوأ حالاتها، ليصنف كتابه «المئة الأوائل» حول أكثر ١٠٠ شخصية تأثيراً في التاريخ الإنساني فيضع الرسول ﷺ على رأس تلك الشخصيات.

إنهم يفترون الكذب على حقائق التاريخ المتواترة، التي شهد بها العدو والصديق، فالصحابة الذين تربوا في مدرسة النبوة هم الذين وصلوا برسالة الإسلام إلى أنحاء المعمورة، أما أعداؤهم فهم الذين مزقوا الأمة وأسلموها لأعدائها، وشوهوا

---

(١) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ط١، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٦٦-٦٧.

تاريخها، وافتروا على أشرف صانعيه؛ الذين قال اللَّه فيهم: ﴿**وعد اللَّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[النور: ٥٥].

وهل عرفنا التمكين إلا على يد الصحابة وتابعيهم بإحسان؟

على أن فريقاً أشد مكراً -من أمثال: حسين أحمد أمين[١] - يقولون: القرآن كله صحيح دون زيادة ولا نقصان، ويشككون في السنة، متجاهلين أن ناقلي القرآن هم أنفسهم ناقلو السنة، وأن السنة مكملة للقرآن ومبينة له:

﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزِّل إليهم**﴾[النحل: ٤٤].

وليس بين الصحابة - ثم من تبعهم بإحسان- إجماع أكثر قطعاً ووضوحاً من الإجماع على صحة النص القرآني وعلى حجية السنة.

---

(١) حسين أحمد أمين، دليل المسلم الحزين، مرجع سابق، ص٨٥ وما بعدها.

كما أن كثيراً من أساسيات الدين لم نعرف تفاصيل أحكامها إلا من السنة[1] ، ومنها -للتمثيل لا الحصر-: عدد الصلوات وعدد ركعات كل صلاة، وشروط الصلاة وأركانها ومبطلاتها، وأنصبة الزكاة، و. . . . . ألم يقرأ هؤلاء قول الحق سبحانه: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[المائدة: ٣]، فقال: أكملت لكم دينكم، ولم يقل: اليوم أكملت لكم القرآن، فالدين قرآن وسنة.

وليس يُعْقَلُ أن يحفظ اللَّه كتابه الكريم، دون السنة، وكلاهما وحي من اللَّه، والسنة ضرورية لتحقيق وتنفيذ ما جاء به القرآن، والفارق بينهما أن القرآن موحى به من اللَّه نصاً، أما السنة فموحى بها من اللَّه بالمعنى، واللفظ من عند رسول اللَّه، ولذلك كان القرآن متعبداً بتلاوته. .

---

(١) للاطلاع على تفنيد علمي مفصل وحاسم لأباطيل منكري السنة، يمكن الرجوع إلى الكتب التاليه:

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ط٣، المكتب الإسلامي/ بيروت -- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م
- دفاع عن السنة، محمد أبو شهبة.
- السنة: حجيتها ومكانتها في الإسلام، د. محمد لقمان السلفي.
- إسلام آخر زمن، منذر الأسعد [وبخاصة الفصل الثاني من الجزء الثاني].

إن الزعماء من بني البشر -ولله المثل الأعلى- يتبادلون رسائل تحريرية وأخرى غير مكتوبة يبلغها مندوب موثوق به تبليغاً شفوياً، فكيف يجيز المرجفون على علام الغيوب -عز وجل- أن يحفظ بعض الوحي ويدع الآخر عرضة للتزوير، مع أنهما كليهما دين، هو الرسالة الخاتمة لكل زمان ومكان؟

* * *

حدود حفظ الرسالات السابقة

وكيف يدع الله بعض الوحي في الرسالة الخاتمة نهباً للتحريف والتزييف، مع شدة النكير منه -سبحانه- في القرآن على الأحبار والرهبان الذين حرفوا رسالات أنبيائهم؟!.. تعالى الله عما يفتري الظالمون.

وهنا يبرز سؤال وجيه: لِم لَمْ يحفظ الله الرسالات السابقة على بعثة نبينا محمد ﷺ مع أنها منزلة من عنده -سبحانه وتعالى-؟.. والجواب هو: أن الرسالات السابقة كانت محدودة في الزمان وفي المكان، ولذلك حفظها -عز وجل- في حدود إبلاغها للمرسل إليهم لتقوم عليهم الحجة.. وهذا دليل

آخر على أن أصحاب الأنبياء جميعاً لا يفترون الكذب على الوحي، فلم ترد في القرآن إشارة سلبية إليهم(*)، وقد ثبت تاريخياً أن تحريف التوراة والإنجيل وقع بعد كل من موسى وعيسى -عليهما السلام- على التوالي- بسنين طويلة وعلى أيدي آخرين من غير أصحابهما المبلغين عنهما!!.

ولهذا فإن رسالة محمد ﷺ محفوظة مطلقاً، لأنها للثقلين كافة منذ بعثته إلى قيام الساعة..

ولنلحظ هنا أن البشارات الإلهية في التواراة والإنجيل ببعثة محمد ﷺ ظلت فيهما ونَجَتْ من الطمس والتحريف، على الرغم من انقضاء قرون على تلاعب الأحبار والرهبان فيهما، وذلك لتقوم الحجة الإلهية على أتباعهما:

﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم**﴾[البقرة: ١٤٦]. وهناك تصريح ببقاء البشارات مكتوبة:

﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً**

(*) في حين تتضح لنا صورة من عصيان بعض أقرب الناس نسباً إلى الأنبياء الكرام (مثل: ابن نوح وامرأته ووالد إبراهيم وامرأة لوط...).

عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[الأعراف: ١٥٧].

عجز المنافقين عن التزوير

وتستوقفنا ظاهرة قرآنية مهمة تؤيد ماذهبنا إليه.. فلقد تعدّدت الآيات التي تحدثنا عن أخطاء بدرت من الصحابة، وليس من بينها الافتراء على الوحي، بل إن في القرآن معاتبات من اللَّه لخاتم أنبيائه ورسله بسبب اجتهادات منه ﷺ اختار فيها غير الأمثل(*) [مثل: اختياره عدم قتل الأسرى المشركين في بدر، وإعراضه عن ابن أم مكتوم لمصلحة رآها هي دعوة بعض من رموز الكفر إلى الإيمان...]... فكيف يُعاتَبُ خير الخلق في مواقف كان اجتهاده فيها بخلاف الأمثل في حقه ﷺ، مع

(*) بعض الكاتبين يسميها «أخطاء» أو «مخالفات»، وهذا غير صحيح -وغير لائق أيضاً-، فالخطأ والمخالفة لا يكونان إلا بعد نزول نص، في حين أن اجتهادات رسول اللَّه ﷺ التي عوتب بشأنها كانت -جميعاً- قبل نزول النصوص المبينة للأمثل فيها.. والنبي معصوم من مخالفة الوحي..

أنه ليس فيها حكم إلهي سابق وينجو الذين يكذبون على الوحي؟ -حتى من العتاب!!- . . تعالى اللّه عما يقولون . .

وفي أي عقول يجوز أن يُبيِّنَ القرآن كثيراً من أخطاء الصحابة الناتجة عن ضعفهم البشري، من كبراها كمخالفة الرماة أوامر الرسول ﷺ في أُحُد، واغترارهم بكثرتهم في حنين وعدم ثبات كثير منهم في تلك الغزاة . . . إلى صغراها كمناداة النبي من وراء الحجرات!!!

كيف يجوز أن يبين القرآن كل ذلك صقلاً لجماعة المؤمنين وتربية لمن جاء بعدهم، ولانرى أثراً لموقف واحد يتصل بصلب الرسالة ألا وهو: عدم الأمانة -المزعوم- في إبلاغها؟ . . .

قد يقولون: نحن نتهم المنافقين بذلك، فهم كافرون أظهروا الإسلام . . فيقال لهم: حسناً، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . . . فعلى كثرة الآيات التي تفضح المنافقين وتعرّي ظاهرة النفاق، فإنه ليس في كتاب اللّه حالة واحدة تدل على أن المنافقين استطاعوا الكذب على النبي فبلّغوا عنه نصاً مختلقاً!! .

إن خلو صحيفة المنافقين السوداء القاتمة كلها، من الكذب على الوحي، تشهد لما أعتقده -يقينا- من أن عدالة الصحابة هي

حفظ للدين وليست مجرد شرف شخصي لهم. . فالوحي محفوظ -كتاباً وسنة-، فلا الصحابة يكذبون، ولا المنافقون قادرون على الكذب في هذا الميدان تحديداً . . وكل الفرق أن ذلك للصحابة شرف رفيع، أما المنافقون فلا كرامة لهم، لأنهم محجوزون عن هذا الميدان قسراً، ولو استطاعوا لما ترددوا لحظة واحدة. .

الصحابة لم يكذب بعضهم بعضا

ثمة احتمال آخر يجدر بنا أن نتفحصه بالنيابة عن المفترين الذين لم يقدموا إثباتاً واحداً على نظريتهم الفاسدة. . . وهو أن يكون أي صحابي اتهم صحابياً آخر -ولو مرة واحدة- بأنه يكذب ويضع الحديث على النبي ﷺ . . . علماً بأنهم لو عثروا على حالة كتلك -ولن يعثروا- فإنها لا تكفي دليلاً، لأن الصحابي ليس معصوماً من أن يصدر عنه اتهام لغيره، ويتضح أنه ليس صحيحاً. .

ولن نتوقف عند افتراءات أحمد أمين في «فجر الإسلام» من أن الصحابة كانوا يكذّب بعضهم بعضاً، فقد دحضها

الدكتور السباعي بمنطق سديد، وأوضح أنها استدراكات علمية[1] .

أما ما بلغنا من أخطاء للصحابة فإنه لا يخلو من احتمالين، فإما أن يكون من مزاعم مبغضيهم، وتلك الدعاوى مجروحة عند عقلاء البشر قاطبة -مسلمين وغير مسلمين-، وإما أن يكون مما نقله عنهم محبوهم والموالون لهم من التابعين، وهو شهادة إضافية على صدق الصحابة مع أنفسهم، كما أنه -في الوقت ذاته- دليل على عدم غلونا فيهم، وإلا لطمسنا تلك الروايات . . وأخيراً، نأتي إلى مسلمة الفتح، فالقلائل منهم هم الذين تحملوا من السنة مثلما تحمل الصحابة الملازمون للرسول ﷺ من قبل . . والذين تعرضوا من مسلمي الفتح للرواية مثل: حكيم بن حزام وعتاب وغيرهما فقد عُرِفوا بالصدق والديانة وغاية الأمانة[2] !!

(١) السباعي، السنة ومكانتها مرجع سابق، ص: ٢٦٢-٢٦٦، ٣٠٩ .
(٢) السلفي، السنة: حجتها ومكانتها مرجع سابق، ص ٢٣٥ .

كيف بقيت فضائل علي؟

إن السنة محفوظة إلى قيام الساعة، فلم يكن حفظها مقصوراً على العهد النبوي أو عصر الراشدين فحسب . . والمجال لا يتسع للتفصيل، ويمكن القارئ الكريم أن يعود إلى شهادة أسد رستم من قبل . . . ويضاف إليها في هذه العجالة دليلان تاريخيان حاسمان، هما :

١ - أن شيعة الإمام علي لم يحكموا من بعده في القرنين الهجريين الأول والثاني، وهما القرنان اللذان شهدا أوسع جهد علمي في علم مصطلح الحديث النبوي رواية ودراية . . بل إن خصومهم السياسيين من بني أمية وبني العباس هم الذين تولوا زمام السلطة، وفي كثير من تلك الفترات كان الصراع السياسي بين الطرفين ساخناً ولقي الشيعة عنتاً كبيراً . . . وعلى الرغم من ذلك ظلت كتب السنة ملأى بالروايات الكثيرة الصحيحة عن فضائل علي رضي اللَّه عنه[1] ، فما الذي منع خصومه السياسيين من طمس تلك الروايات، لو كانت الصورة الشائهة التي يرسمها الطاعنون في الصحابة صحيحة؟!

(١) قال أحمد بن حنبل وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي. . .» [فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ٧١]. بل إن الإمام النسائي ألّف في خصائص علي قبل أن يصنف في فضائل الصحابة ولم يورد عن معاوية شيئاً فضربه الجهلة ضرباً أدى إلى اعتلاله فوفاته. [الذهبي، تذكرة الحفاظ -تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي- دار إحياء التراث العربي- د. ت- توزيع دار الباز بمكة المكرمة- جـ٢ - ص ٦٩٩-٧٠١].

أليس فيهم رجل رشيد يسأل: كيف يكون الذي انتقل إلى جوار ربه وانحسرت السلطة عن ذريته مبشَّراً بالجنة، ولا يستطيع معاوية أن يدس -جدلاً- رواية واحدة تبشره هو بالجنة؟!!..

إن معاوية مات، وعدد كبير من الصحابة أحياء، وكثير منهم لم يكونوا من مؤيديه، فهل اتهمه أحد منهم بوضع الحديث على النبي ﷺ؟!

٢ - في عهد الخليفة العباسي المأمون ظهرت بدعة القول بخلق القرآن، على أيدي المعتزلة وبدعم رسمي من الدولة... وكان لثبات الإمام أحمد بن حنبل -رحمه اللَّه- في وجهها الأثر الأكبر- بعد فضل اللَّه- في انطفائها، على الرغم من سنوات من الأذى قضاها في السجن.

والسؤال الوجيه الذي يلح هاهنا: كيف عجزت دولة الخلافة بقوتها المعنوية والمادية عن دس حديث واحد يشهد لبدعتها؟!..

بل إن الأبلغ من ذلك، أن أهل الحديث نسفوا روايات مكذوبة على النبي ﷺ، مع أنها تشهد لموقفهم في تلك المحنة[1]!!

---

(١) منها: مارواه الخطيب عن ابن مسعود مرفوعاً: القرآن كلام اللَّه -عز وجل- ليس =

نعم، المحاولات للدس والافتراء حصلت، لكن الأمر المؤكد هو أنه مامن أحد كذب على الرسول ﷺ، إلا هتك اللّه ستره!!

أمثلة على صدق الصحابة

إن الشواهد على الصدق التام للصحابة أشهر من أن تروى، وأغزر من أن تحصى. . . وإذا كان في الأمة حتى في أسوأ مراحل تاريخها، أناس يتورعون عن الكذب في محادثتهم الآخرين ولو بالمزاح، فكيف كان الصحابة الذين تخرجوا في مدرسة النبوة؟ وكيف بهم إذا كان الأمر يتصل بخبر السماء؟!!. .

إن الكذب -كما ثبت في الحديث الصحيح- أخطر من الزنى ومن السرقة -على فظاعتهما-، ويكفي أنه خصلة تعادل ثلث علامات النفاق -أو ربعها-.

إن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا صورة أمينة عن حياتهم بسموها الغالب، وخللها النادر. . . ومنهم عرفنا من ثبت في

= بخالق ولا مخلوق، فمن زعم غير ذلك فقد كفر بما أنزل على محمد -صلى اللّه عليه وسلم». . قال الخطيب: منكر جداً فيه مجاهيل وقال الذهبي: موضوع، فيه مجالد بن سعيد. . . . .

انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ط٣، دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ج-١، ص ٤-١٠.

الغزوات ومن فر من المعركة، ومن غلبه ضعفه البشري فكتب إلى قريش عن تحركات الرسول ﷺ واستعداداته العسكرية[1]. . . .

ونأخذ نماذج فحسب . . أخرج الشيخان حديثاً لعبد اللّه بن مسعود قال: «صليت مع رسول اللّه ﷺ فأطال حتى هممتُ بأمر سوء. قيل: وما هممت به؟ قال: هممتُ أن أجلس وأدعه»!!.

سبحان اللّه . . أي نفوس سامية كانت نفوسهم!! . . . إن ابن مسعود - رضي اللّه عنه- لو لم يسرد على الناس ماجرى له مما لا يعلمه إلا اللّه، لما أخطأ، لأنه ليس حكماً شرعياً يأثم

---

(١) مثل: حاطب بن أبي بلتعة، وهي واقعة تشبث بها أبو هلالة -على غرار من سبقوه- للطعن في الصحابة، مع أنها -عند التأمل- حجة لنا عليهم. . فقد كان رد الرسول صلى اللّه عليه وسلم على عمر لما أراد قتل حاطب جزاء له على فعلته: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (من حديث طويل رواه البخاري- ينظر في: فتح الباري-مرجع سابق- ٧ / ٥١٩). فهذا الاستثناء دليل على مكانة الصحابة السامية، وأن الذين جاؤوا بعدهم لن يصلوا إلى مرتبتهم مهما فعلوا. . . فليس لمسلم بعدهم أن يكتب إلى أعداء المسلمين عن أسرارهم العسكرية متذرعا بما وقع من حاطب، لأنه -في الأقل- ليس من أهل بدر!!!. ومن تناقضات أبو هلالة ومن وافقه أنهم يختارون الروايات بالتشهي، وإلا لتعين عليهم -وفق منهجهم- رفض قصة حاطب تماماً، فالذين نقلوها إلينا من الصحابة الذين يشكك هؤلاء في عدالتهم!!

بكتمانه. لكنه الإخلاص للَّه في ذراه العالية.. فهل مثل هؤلاء يرتضون الكذب في تبليغ النصوص الموحى بها؟ واللَّه إن الذي يفتري عليهم ذلك البهتان هو الكذوب، وكل إناء بما فيه ينضح...

والأنموذج الآخر نأخذه من سعد بن أبي وقاص -رضي اللَّه عنه- وهو ممن اعتزلوا الفتنة، يروي أنه نال ورجلين معه من علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه- فأقبل النبي ﷺ يُعْرَفُ في وجهه الغضب، فتعوذت باللَّه من غضبه فقال: «مالكم ومالي؟ من آذى علياً فقد آذاني»[1]..

وهذا عمر -رضي اللَّه عنه- يروي فضائل عظيمة في أبي بكر -رضي اللَّه عنه-: ويُذكُر عنده فيبكي ويقول: «وددت أن عملي كله مثل عمله يوماً واحداً من أيامه، وليلة واحدة من لياليه»[2]..

وهاهو عمار بن ياسر رضي اللَّه عنه الذي انحاز إلى صف علي في جميع مواقفه منذ تولى الخلافة، يقول في موقعة الجمل

(١) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، ج٢، ص١٠٩، ص٧٧٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٢٩): رواه أبو يعلى والبزار باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير محمود بن خداش وقنان وهما ثقتان.. وانظر: الدهلوي -حياة الصحابة- ٢/ ٤٤٩.

(٢) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول ٨/ ٦٠٥، وقال محققه عبد القادر الأرناؤوط: ذكره المحب الطبري في كتابه «الرياض النضرة في مناقب العشرة» وقال: خرجه النسائي.

عن عائشة -رضي اللَّه عنها- : «إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن اللَّه ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[1] ». فالخلاف الذي بلغ حد الاقتتال، لم يجعله ينكر ما يعلمه انتصاراً لموقفه. .

ويأتي ابن عباس - رضي اللَّه عنهما- إلى الفاروق يسأله عن زوجتي النبي ﷺ المخاطبتَيْن بقوله تعالى: ﴿**إن تتوبا إلى اللَّه فقد صغت قلوبكما**﴾[التحريم: ٤]، قال الزهري: كره -واللَّه- ما سأله عنه ولم يكتمه فقال: هما عائشة وحفصة[2]!!.

أجل. . إنه بشر، وحفصة ابنته، لكن الأمانة في إبلاغ العلم الشرعي أكبر من العواطف عندهم. . . ولذلك لم يكتمه!!.

ونعيش الأجواء العبقة ذاتها مع أم المؤمنين عائشة -رضي اللَّه عنها عندما سئلت: أي الناس كان أحب إلى رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: فاطمة. قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن

---

(١) رواه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة -باب: فضل عائشة -رضي اللَّه عنها- الحديث رقم ٣٧٧٢ [فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ١٠٧].

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير باب: «إن تتوبا إلى اللَّه فقد صغت قلوبكما» الحديث رقم ٤٩١٥ [فتح الباري، ٨/ ٦٥٩].

كان ما علمتُ صواماً قواماً -أخرجه الترمذي وإسناده حسن-[1].

هذا مع أن الود بين علي وعائشة -رضي اللّه عنهما- لم يكن عامراً!! . ولنلاحظ أن كل ما سبق -وهو غيض من فيض- رواه أئمة الحديث الذين يدعي أبو هلالة أنهم يبغضون آل البيت!!! . .

تشبث الصحابة بالسنة

ونقتبس شواهد فحسب، تؤكد التزام الصحابة سنة نبيهم ﷺ التزاماً لا تردد فيه . .

وأول ما يطالعنا أعظم أحداث التاريخ الإسلامي خطراً، بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى جوار ربه، حيث ارتد أكثر العرب، وغدا المسلمون أقلية غير مرهوبة الجانب في مكة والمدينة، وحيث رأى كثير من الصحابة أن يقبل الخليفة الأول أبو بكر الصديق -رضي اللّه عنه- من مانعي الزكاة إقامتهم الصلاة وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ثم هم بعد ذلك يزكون، فإذا بأبي بكر اللين العريكة، الرقيق القلب، أسد هصور يأبى المهادنة مع أن جميع

---

(١) الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى -الجامع الكبير، كتاب المناقب، باب: فضل فاطمة بنت محمد ص الحديث رقم ٣٨٧٤، تحقيق: أحمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، مكتبة مصطفى الباب الحلبي بالقاهرة، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، ٥/ ٧٠١.

الظروف ضده، وهو موقف مشرف إذ لولا اللّه -ثم أبو بكر- لاندثر الإسلام، ومع ذلك فإن الحاقدين على الصحابة يذمونه عليه ويذودون عن المرتدين، وآخرهم علي عبد الرازق مقلداً غلاة المستشرقين، وتابعه: حسين أحمد أمين.

مايهمنا هنا، أن رأس المعترضين على المواجهة عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علامَ تقاتل الناس، وقد قال رسول اللّه ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر: واللّه لو منعوني عُناقاً -وفي رواية: عقالاً- كانوا يؤدونه إلى رسول اللّه ﷺ، لأقاتلنهم على منعه، إن الزكاة حق المال، واللّه لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة. . . الحديث [رواه الجماعة إلا ابن ماجة من حديث أبي هريرة].

فالموقفان -كما هو ثابت- ينطلقان من نص نبوي واحد، غير أن فقه أبي بكر له كان هو الصواب، وذلك هو سر انتقال الصحابة عن موقفهم الأول إلى جهاد المرتدين ومانعي الزكاة حتى كتب اللّه لهم النصر. . ولو كانت المسألة سياسة بمفهومها

الغربي اللاديني، لكان قرار أبي بكر انتحاراً، ولأجبرته الغالبية على التزام ماتراه . .

ومثل ذلك -من حيث الدلالة- تمسك أبي بكر بإنفاذ جيش أسامة، الذي عقد لواءه الرسول ﷺ قبيل وفاته، فتريث أسامة في المسير ليطمئن على حال النبي الذي لم يلبث أن لحق بالرفيق الأعلى.

أصر أبو بكر، على إنفاذ الجيش برغم أن عقد اللواء لأسامة[1] من النبي ﷺ تم بصفته إماماً لا بصفته نبياً، فإنفاذ جيش أسامة ليس نصّاً من الرسالة . . .

إلى هذا الحد بلغ تشبث الصحابة بالسنة النبوية المطهرة . .

ومثال آخر نراه في نهج الإمام علي -رضي اللّه عنه- لما

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٢/ ٢٤٤ - ٢٤٦. وانظر:

- ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٦/ ٣٠٤، ٣٠٥.

- هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، ط٨، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مؤسسة الرسالة ببيروت، ودار البحوث العلمية بالكويت، ص٣٢٧- ٣٢٩.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ عهد الخلفاء الراشدين، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٩-٢١.

وجَّه ابن عباس إلى مناظرة الخوارج إذ قال له: عليك بالسنة فإن القرآن حمّال أوجه[1].

وفي كتاب التحكيم بينه وبين معاوية «إننا ننزل عند حكم اللَّه عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره. وإن كتاب اللَّه عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب اللَّه عملا به، وما لم يجدا في كتاب اللَّه عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرِّقة»[2].

والموقف الجلي نفسه، يعلنه الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنهما- في خطبته أمام جيشه، إذ يعرض دوافعه إلى الخروج على يزيد بن معاوية، يقول: «أيها الناس، إن رسول اللَّه ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم اللَّه، ناكثاً لعهد اللَّه، مخالفاً لسنة رسول اللَّه ﷺ، يعمل في عباد اللَّه بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على اللَّه أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا

(١) تاريخ الجدل -محمد أبو زهرة- ١٥٤، ١٦٨.
(٢) الطبري، تاريخ، مرجع سابق، ٤/٣٨.

الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام اللَّه، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر»[1] .

نزاهة أهل الحديث

يتسم موقف أهل الحديث من الكذب بالحزم المطلوب شرعاً، والمكافئ لخطورة هذا الجرم الفظيع . . ولذلك رفضوا خبر من كان فسقه بسبب كذبه في حديث الناس، وإن توقى الكذب في الحديث النبوي، إذ لا يُؤْمن وقوعه فيه بسبب استهتاره بمقام ربه -والعياذ باللَّه- .

وإذا كانوا يقبلون رواية التائب من الكذب في حديث الناس، فإنهم يرفضون رواية التائب من الكذب متعمداً في الحديث النبوي (ذكره غير واحد من أهل العلم، منهم: أحمد ابن حنبل وأبو بكر الحميدي -شيخ البخاري-)[2] .

---

(١) المرجع السابق: ٤/ ٣٠٤ .

(٢) قال الحافظ العراقي:

وللحميدي والإمام أحمدا ... بأن مَنْ لكَذب تعمدا

أي: في الحديث لم نعد نقبله ... وإن يَتُبْ، والصيرفي مثله

[العراقي، أبو عبد اللَّه محمد بن عبد الرحمن السخاوي فتح المغيث بشرح ألفية الحديث - ط٢- دار الإمام الطبري - ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٢/ ٧١]. وانظر: عتر، نور الدين، منهج النقد، مرجع سابق، ص ٨١، ٨٤.

وهذا يقودنا إلى مسألة أخرى، كثر لغط الدكتور يوسف حولها، هي روايات المبتدعين المخالفين لأهل السنة والجماعة . .

بدءاً، فإن علماء الحديث رفضوا مرويات غلاة الشيعة في علي، وغلاة البكرية في أبي بكر، وغلاة العثمانية في عثمان، ومرويات المتعصبين للأمويين في بني أمية وللعباسيين في بني العباس[١] . . . أما في المرويات العامة -في غير الفضائل لمن يتعصب الراوي لهم- فإنهم قبلوا روايات المبتدع إذا كان عدلاً ضابطاً، مالم يكن داعية إلى بدعته، فذاك مستعد للتحريف انتصاراً لدعوته[٢] .

قال ابن المدني: لو تركتُ أهل البصرة للقدر -يعني: الاعتزال- وأهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب[٣] . . وقال

---

(١) السنة ومكانتها -مرجع سابق، : ٢٧٥ .

(٢) منهج النقد في علوم الحديث، مرجع سابق ٨٤، بل إن البخاري احتج بدعاة إلى الشراة (من الخوارج)، كعمران بن حطان، وإلى الإرجاء كعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني، وأخرج هو ومسلم عن محمد بن خازم وعبيد اللّه بن موسى وقد اشتهرا بالغلو (في التشيع) . . انظر: جامع الأصول ١/ ٧٥، ١/ ١٧١ وبخاصة تعليق المحقق: عبد القادر الأرناؤوط .

(٣) السلفي، محمد لقمان-اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، ط١، د. ن، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص١٩٨، ١٩٩ .

الذهبي في الميزان: أبان بن تغلب، شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته، ونقل توثيقه عن أحمد وغيره. . . ويعلل هذا الموقف النزيه، بأن البدعة الصغرى كغلو التشيع أو التشيع بلا غلو ولا تحرُّق، كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رُدَّ حديث هؤلاء لذهبت جملة الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة[1] .

إنها عند علماء الحديث -كما ترى- قضية دين، وليست مسألة مواقف مسبقة مثلما يزعم المرجفون المفترون. . ولذلك لم يقبلوا -مثلاً- جرح الجوزجاني لأهل الكوفة، بسبب نصبه (بغضه لعلي) وشدة انحرافه[2] !!

إن الورع لدى السلف من حفظة السنة الشريفة، جعلهم يشهدون بالحق لخصومهم من المبتدعين والضالين، فقالوا: إن الخوارج هم أقل الفرق كذباً، وهو ما أكده أبو داود وشيخ

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٠١ .

(٢) التهانوي، ظفر أحمد العثماني، قواعد في علوم الحديث، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (ومراجعة نصوصه والتعليق عليها)، ط٥، مكتب المطبوعات الإسلامية/ حلب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٤٢٨ .

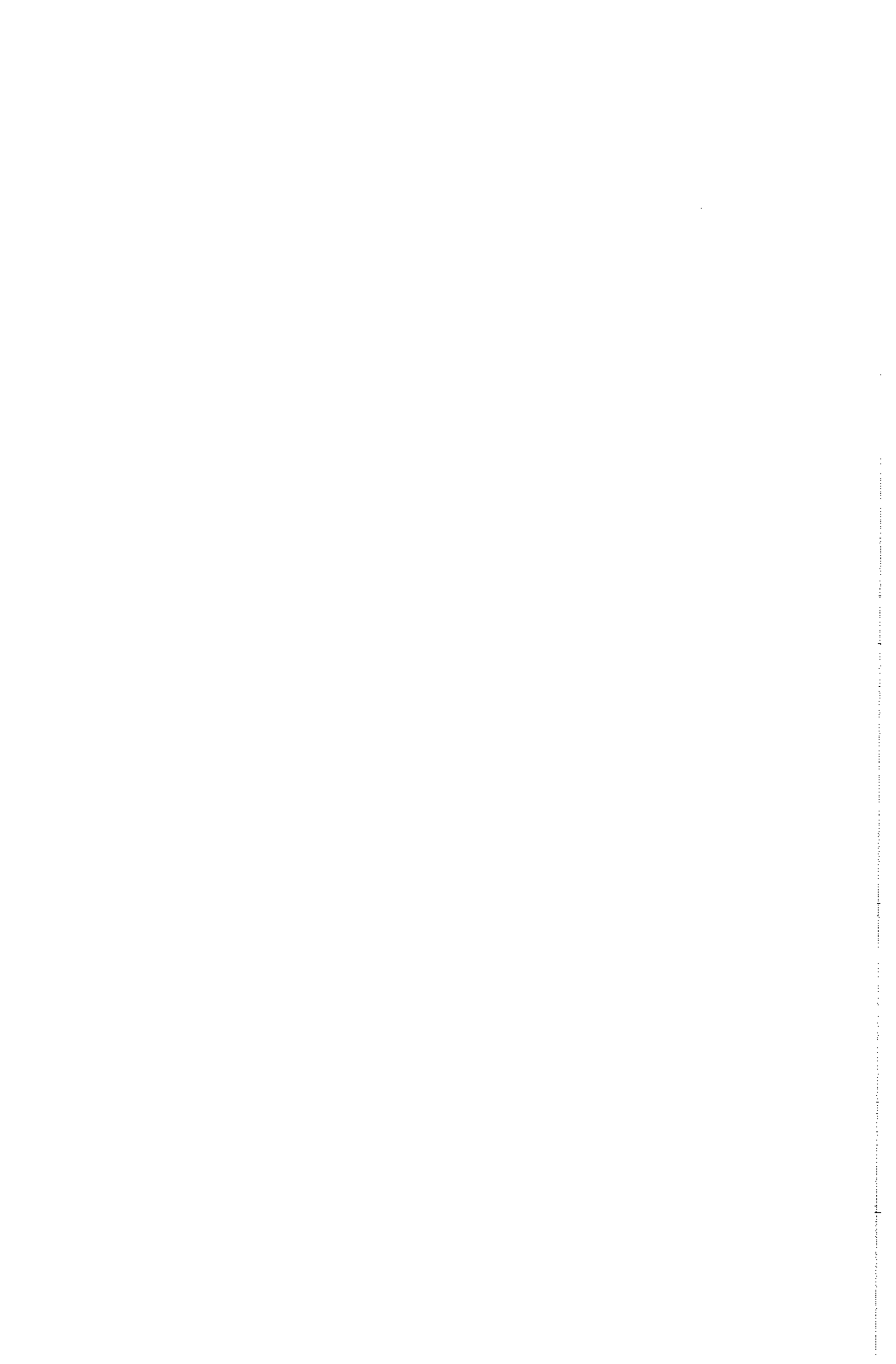
الإسلام ابن تيمية[1] ، وذلك لأن الخوارج يبالغون في ذم الكذب عموماً ولذلك يقولون بكفر الكاذب- ولو أن هذا التكفير بدعة تصطدم بالنصوص القرآنية والنبوية- . .

وتكفي شهادة ابن أبي الحديد في شرحه لـ «نهج البلاغة» ، إذ يقول : «اعلم أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة . . . . وقد قابلهم جهلة أهل السنة بالوضع أيضاً» . . . وقيمة هذه الشهادة نابعة من كون صاحبها شيعياً معتزلياً ، ومن أن الذين ردوا على الوضع هم جهلة أهل السنة لا علماؤهم الذين رفضوا كل الموضوعات بصرف النظر عن هوية مصدرها ! ! .



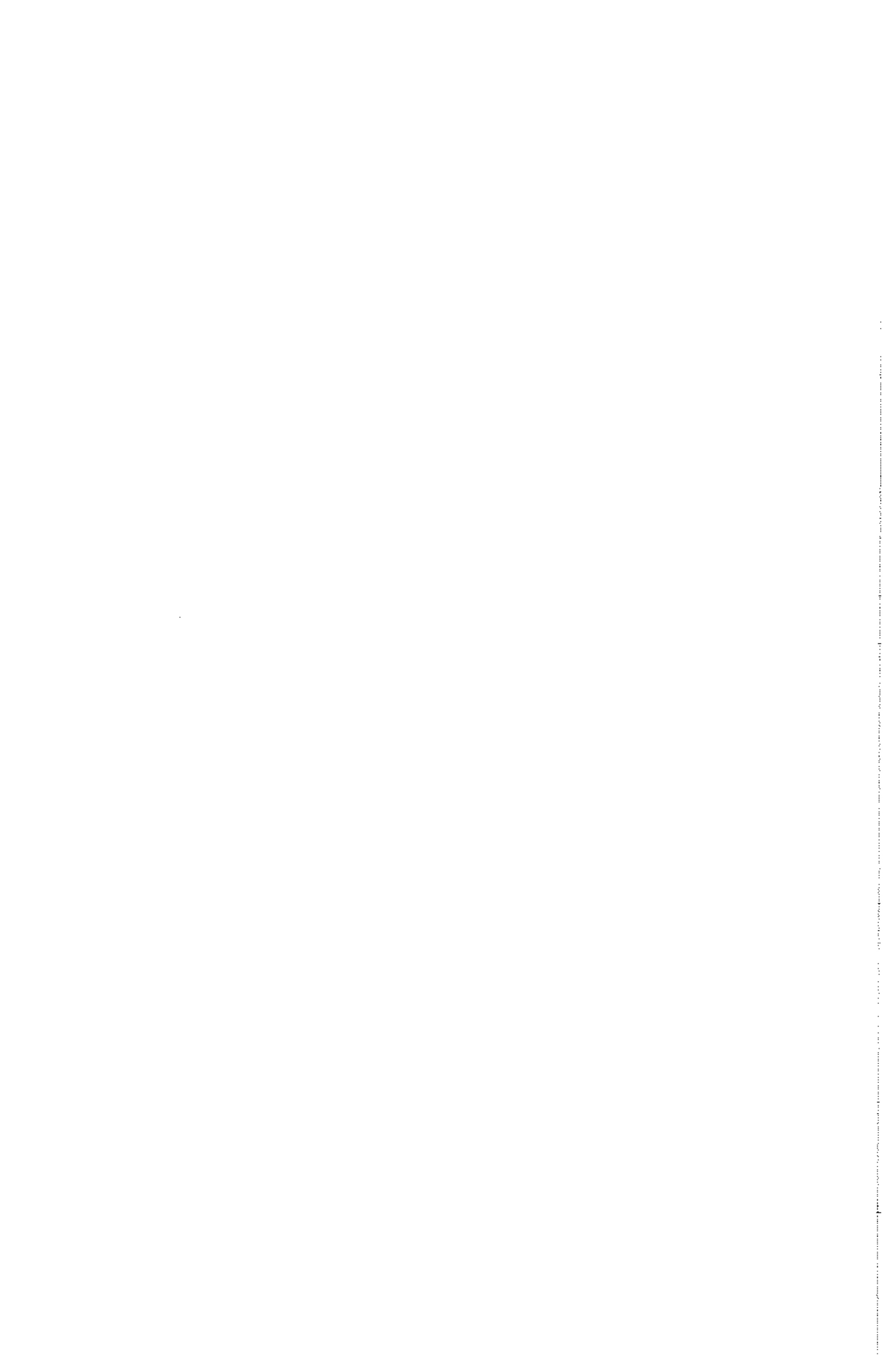
---

(١) السنة ومكانتها ، مرجع سابق ، : ٨١ - ٨٣ .



الفصل الثاني





من الحجج التي تمسك بها الدكتور أبو هلالة، لائحة أسماء المنافقين التي خص رسول اللَّه ﷺ بها الصحابي حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه-، فهي دليل -عنده- على أنه لم يكن من مخلوق -بعد النبي- يعرف المنافقين بأعيانهم سوى حذيفة، وأن سؤال عمر بن الخطاب -رضي اللَّه عنه- لحذيفة عن اسمه هل ورد بين الأسماء التي استودعه رسول اللَّه كتمانها، يؤكد استحالة تمييز المؤمن الحقيقي من المنافق، فالجميع - في الظاهر- مسلمون. .

* * *

بدءاً، نسجل على الاحتجاج بهذه الرواية من قبل الدكتور، أنه ينقض طعنه في الصحابة، فهي -في النهاية- رواية، وهو يشكك في المرويات جملة، فكيف يستقيم التشكيك في السنة مع قبول مايريد بالتشهي؟. .

بل إن منهجه المخالف لكتاب اللَّه وسنة نبيه، بل حتى لبدهيات العقول، يلزمه بالمضي في تشككاته إلى نهايتها، فما الذي يمنع -وفقاً له- أن يكون حذيفة -وحاشاه- من فئة المنافقين، ويريد بث الفرقة في الجماعة المسلمة. . . إلى آخر تلك الأوهام المؤسسة على شفا جرف هار؟!. .

ومن الناحية المنطقية: ألا يعرف الفاروق -رضي اللَّه عنه- عن نفسه أنه لا يبطن الكفر بل إنه مؤمن حقّاً؟ . . أليس سؤاله دليلاً على ورع عظيم وحس إيماني مرهف وليس نتيجة شك في يقينه المستقر في فؤاده وعقله وروحه؟!.

أو لا يدري أن في سجله تزكيات وبشارات نبوية لم يظفر بأكثر منها سوى أبي بكر الصديق؟! . . . إن رسول اللَّه -أصدق المخلوقين- كان يسأل اللَّه لساناً صادقاً، فهل يفهم التائهون منها مافهموه من سؤال عمر لحذيفة -والعياذ باللَّه-؟!!

ونسأل من يقول ذلك: إذا كان الصحابة الذين شاهدوا كثيراً من مواقف النفاق وعلامات أهله، لا يعرفون -باستثناء حذيفة- أعيان المنافقين، فهل يعرفهم أهل عصرنا بعد أربعة عشر قرناً؟

إن أمر السرائر ليس من شأن البشر، ومن أظهر الإيمان واعتاد المساجد ولم يرتكب ما ينقض الإيمان، نشهد له بالإيمان، أما حقيقته فأمرها إلى علام الغيوب -سبحانه-. . . ولا يجوز لنا التشكيك فيه بالهوى والظن والرجم بالغيب. .

وسؤال جوهري آخر: لوكانت أسماء المنافقين ذات صلة بإبلاغ الرسالة، فهل كان النبي ﷺ المرسل رحمة للعالمين، يستأثر حذيفة بها ويستأمنه أن يكتمها؟!... من أجاب بـ: نعم، فقد كفر.. لأن النبي ﷺ أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ولم يكتم من أمر الدين شيئاً -وحاشاه-.

افتضاح المنافقين

فأبو هلالة تمسك بلائحة أسماء المنافقين لدى حذيفة، وتجاهل كل ماعداها من نصوص في كتاب اللّه -عز وجل- وسنة رسوله ﷺ، وهذا ليس مسلك طلبة العلم الباحثين عن الحق..

فالمنافقون لم يكونوا مجهولي الأعيان في كل مراحل البعثة النبوية في العهد المدني، إذ كان سلوكهم في مواقف الامتحان يفتضح حقيقتهم، إنفاذاً لوعد من اللّه -سبحانه-: ﴿**ما كان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان اللّه ليطلعكم على الغيب...الآية**﴾[آل عمران: ١٧٩].

وهو قد تكرر في قوله -عز من قائل-: ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**﴾[الأنعام: ٥٥]. وفي قوله: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين * وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين**﴾ [العنكبوت: ١٠-١١].

فالله -عز وجل- يعلم حال الجميع من قبل أن يخلقهم، ولذلك فالمراد هنا بالعلم: علم حجة ظاهرة.. وهذا قد تحقق إذ فضحتهم خصائص عامة لهم، ثم أصبحت مشخصة في الأزمات ومواقف المفاصلة التي لا تقبل الحلول الوسط.. فمن أبرز صفاتهم في كتاب الله:

- ﴿**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾[التوبة: ٥٤].

- ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

- ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا اللَّه والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾[آل عمران : ٧] .

- ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من اللَّه قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فاللَّه يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل اللَّه للكافرين على المؤمنين سبيلاً * إن المنافقين يخادعون اللَّه وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون اللَّه إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل اللَّه فلن تجد له سبيلاً﴾ [النساء : ١٤١-١٤٣] .

- ﴿لو كان عَرَضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون باللَّه لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم واللَّه يعلم إنهم لكاذبون * عفا اللَّه عنك لِمَ أذنتَ لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستأذنك الذين يؤمنون باللَّه واليوم الآخر أن

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين* لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[التوبة : ٤٢-٤٩].

- ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾[التوبة: ٥٦] .

- ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾[التوبة: ٥٨] .

- ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن...﴾ [التوبة: ٦١] .

- ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾[التوبة: ٦٥].

- ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا اللَّه فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾[التوبة: ٦٧].

- ﴿ومنهم من عاهد اللَّه لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين* فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون﴾[التوبة: ٧٥-٧٦].

- ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر اللَّه منهم ولهم عذاب أليم﴾[التوبة: ٧٩].

- ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر اللَّه لهم ذلك بأنهم كفروا باللَّه ورسوله واللَّه لا يهدي القوم الفاسقين * فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول اللَّه وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون* فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك اللَّه إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوا

إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين* ولا تُصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا باللَّه ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد اللَّه أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورة أن آمنوا باللَّه وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾[التوبة ٨٠-٨٦].

- ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام اللَّه قل لن تتبعونا كذلكم قال اللَّه من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً﴾[الفتح : ١٥].

- ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا اللَّه من أخباركم...﴾[التوبة : ٩٤].

- ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب اللَّه ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى واللَّه يشهد إنهم لكاذبون﴾[التوبة : ١٠٧].

- ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن اللَّه وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم واللَّه أعلم بما يكتمون * الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[آل عمران: ١٦٦-١٦٨].

- ﴿ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به اللَّه ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا اللَّه بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾[المجادلة: ٨].

- ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب اللَّه عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾[المجادلة: ١٤].

- ﴿وإذا دُعُوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف اللَّه عليهم

ورسـوله بل أولئك هم الظالمون * إنما كـان قـول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينـهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ [النور: ٤٨-٥١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكـروا نعمة اللَّه عـليكم إذ جاءتكم جنود فـأرسلنا علـيهم ريـحا وجـنودا لم تروها وكـان اللَّه بما تعملون بصيراً * إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبـصـار وبلـغت القلـوب الحناجـر وتظنون بـاللَّه الظنونا* هنالـك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شـديداً * وإذ يقـول المنافـقـون والذين في قلوبهم مـرض مـا وعـدنا اللَّه ورسولـه إلا غروراً * وإذ قـالت طائفة منهم ياأهل يثـرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذنُ فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة ومـا هي بعـورة إن يريدون إلا فراراً ولو دخلت عليـهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبـثوا بها إلا يسيراً * ولقد كـانوا عاهدوا اللَّه من قـبل لا يولون الأدبار وكان عـهد اللَّه مسؤولا﴾[الأحزاب: ٨-١٥].

- ﴿ قد يعلم اللَّه المعوِّقين منكـم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البـأس إلا قليـلاً * أشـحـة عليكم فـإذا جـاء

الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللَّه أعمالهم وكان ذلك على اللَّه يسيراً * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً﴾[الأحزاب: ١٨-٢٠].

- ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع اللَّه على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾[محمد: ١٦].

- ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم﴾[محمد: ٢٠].

- ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول واللَّه يعلم أعمالكم﴾[محمد: ٣٠].

- ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُبٌ مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم

العدو فاحذرهم قاتلهم اللَّه أنى يؤفكون * وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللَّه لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾[المنافقون: ٤-٥].

- ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضوا وللَّه خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وللَّه العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون: ٧-٨][*].

---

* تعمدت الاقتصار على ما جاء عن النفاق والمنافقين في القرآن الكريم دون السنة المطهرة، ويكفي الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد اللَّه بن مسعود -رضي اللَّه عنه- يحذر من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد، وفيه يقول: «... ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق...» [مسلم، صحيح مسلم، إشراف: علي عبد الحميد بلطجي، ط١، دار الخير/ بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٢/ ٢٨٩، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة- باب: فضل صلاة الجماعة، الحديث رقم ٦٥٤]. وكذلك ما رواه عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر..» [المرجع السابق، ٢/ ٢٨٧، الحديث رقم ٦٥١].

التمايز بين الصحابة والمنافقين..

ألا يكفي كل ما سبق من بيان الملامح العامة لأهل النفاق، وافتضاح مواقفهم العملية [في الغزوات وفي بناء مسجد الضرار وفي إثارة الفتن]، ألا يكفي كله للقول: إن التمايز بين الصحابة والمنافقين واضح لكل ذي عينين؟.. بلى -واللَّه- وبخاصة لو نظرنا في كتاب اللَّه وفي السنة والسيرة النبويتين إلى صفات المؤمنين من صدق وإخلاص وبذل رائع للنفوس والأموال.. ولا سيما إذا تأملنا في الوعود المتكررة بأن أمر المنافقين سيفتضح، وهو ما عرضنا بعض الآيات عنه، ونضيف هنا:

- ﴿**ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد اللَّه فتنته فلن تملك له من اللَّه شيئاً أولئك الذين لم يرد اللَّه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾[المائدة: ٤١]..

وهل يكون الخزي سراً؟ بل إنه افتضاحهم على رؤوس الأشهاد..

- **﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج اللَّه أضغانهم﴾**[محمد: ٢٩].

- **﴿.... فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم اللَّه عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ومالهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾**[التوبة: ٧٤].

والوعيد هنا بعذاب المنافقين إن لم يعودوا إلى حظيرة الإيمان، مع القطع بأنه لن يكون لهم ولي في الأرض مؤمناً أو غير مؤمن، هو دليل صريح على أنه لم تكن هناك موالاة بينهم وبين الصحابة، وإنما كف النبي عن قتلهم لأن أحكام الدنيا تجري على ظاهر الناس..

إن التمايز بين الصحابة والمنافقين واقع حتى في الموقف الواحد، ونقتصر على أنموذجين -للتمثيل فحسب-، أولهما: تخلف المنافقين عن رسول اللَّه في غزوة العسرة (تبوك)، وهو ما بينته الآيات التي سبق الاستشهاد بها من سورة التوبة... أما الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول اللَّه في تلك الغزاة

دون عـذر: [وهم: ١- كـعب بن مـالك -٢- مُرَارة بن الربيع العَمْري -٣- هلال بن أمية الواقفي]، فإن موقفهم مختلف، لأنهم شعروا بتقصيرهم وكانوا مؤمنين حقاً، فلم يختلقوا الأعذار الكاذبة التي اصطنعها المنافقون، فنزلت توبة اللَّه عليهم بعد أن هجرهم النبي والمؤمنون خمسين يوماً:

﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من اللّه إلا إليه ثم تاب اللَّه عليهم ليتوبوا إن اللَّه هو التواب الرحيم﴾ [التوبة: ١١٨].

المثال الآخر هو حديث الإفك(*) حول عائشة -زوج النبي

(*) في مناسبة حديث الإفك لابد من التعليق على موقفين يوضحان نبل الصحابة وسمو أخلاقهم.. فأولهما: أن أبا بكر الصديق -رضي اللَّه عنه- كان ينفق على قريب له يدعى: مسطح بن أثاثة، وامتنع عن ذلك بعد أن أسهم مسطح في حديث الإفك الذي تناول أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر -رضي اللَّه عنهما-، لكن الصديق رجع إلى سيرته الأولى، لما نزل قول الحق -تعالى- ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل اللَّه وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم واللَّه غفور رحيم﴾[النور: ٢٢].

والثاني: ثناء عائشة على حسان بن ثابت - وكان له دور في حديث الإفك عنها- وكانت ترد على من يذكره أمامها بسوء، بأنه هو القائل:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

[جامع الأصول - ٢/ ٢٦٧]...

وأم المؤمنين- وهو حديث نسج خيوطه المفتراة رأس النفاق في المدينة: عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول، ولذلك كان التمييز جلياً بين دوره الآثم المتعمد الناجم عن كفره المبطن، وخطأ الذين رددوه من المؤمنين دون تثبت ودون إدراك لخطورته:

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾[النور: ١١].

شهادات حذيفة..

برغم اتضاح الصورة من جميع ما سبق بيانه، ربما سأل سائل: فكيف توفق بين أن يكون المنافقون معروفين، وبين أن يستكتم الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان أسماءهم؟!.

وهو سؤال مشروع ويستحق إجابة دقيقة..

بدءاً، فإن شهادة حذيفة في قضية المنافقين أكثر دقة وتحديداً من الصيغة التي يعرضها بها «أبو هلالة» وكل من سبقوه في هذا الدرب...

إذاً، فلننظر في الروايات الواردة عن حذيفة -رضي اللَّه عنه-...

■ في صحيح البخاري، قال زيد بن وهب -رحمه اللَّه- : «كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية - يعني: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم﴾ [التوبة: ١٢]، إلا ثلاثة، ولا بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد، تخبرونا أخباراً لا ندري ما هي؟ تزعمون أن لا منافق إلا أربعة، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفُسَّاق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده»(١) .

■ وفي صحيح البخاري أيضاً، قال حذيفة بن اليمان -رضي اللَّه عنه- : «إنما كان النفاق على عهد رسول اللَّه ﷺ، فأما اليوم، فإنه الكفر بعد الإيمان»(٢) . . وفي رواية أخرى: «[فإنما هو] الكفر أو الإيمان». وفي ثالثة قال: «إن المنافقين اليوم هم شرٌ منهم على عهد رسول اللَّه ﷺ كانوا يومئذ يُسِرُّون، واليوم يجهرون»(٣) .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، سورة براءة، باب: «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم»، الحديث رقم ٤٦٥٨ [فتح الباري، ٨/ ٣٢٢].

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الفتن، باب: إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه، الحديث رقم ٧١١٤ [فتح الباري، ١٣/ ٦٩].

(٣) ابن الأثير الجزري، جامع الأصول، مرجع سابق، ٢/ ١٥٩، ١٦٠.

■ وفي صحيح مسلم أن قيس بن عباد -رضي اللَّه عنه- قال: «قلت لعمار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أرأياً رأيتموه أم شيئاً عهده إليكم رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول اللَّه ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافةً، ولكن أخبرني حذيفة أن رسول اللَّه ﷺ أعلمه اثني عشر منافقاً، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وأربعة لم أحفظ ما قال [شعبة] فيهم»[1].

وفي رواية: ثمانية [منهم] تكفيكهم الدُّبَيْلة -سراج من النار يظهر في أكتافهم- حتى ينجم في صدورهم».

■ وأخرج البخاري حديث الأسود بن يزيد النخعي قال: «كنا في حلقة عبد اللَّه بن مسعود فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم، ثم قال: لقد أُنْزِل النفاق على قوم خير منكم، فقلنا: سبحان اللَّه! فإن اللَّه عز وجل يقول: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾[النساء: ١٤٥]. فتبسم عبد اللَّه، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد اللَّه وتفرق أصحابه، فرماني

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، ٥/ ٢٦٨، كتاب: المنافقين وأحكامهم، الحديث رقم ٢٧٧٩.

بالحصباء فأتيته، فقال حذيفة: عجبتُ من ضحكه وقد علم ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب اللَّه عليهم»(1).

فوائد من شهادات حذيفة

١ - أن النفاق كان على عهد رسول اللَّه ﷺ، وأما بعد ذلك فإما إيمان أو كفر . . .

٢ - أن أقصى عدد ذكره حذيفة ١٢ منافقاً، فأين يذهبون أمام الألوف المؤلفة من الصحابة الكرام؟

٣ - أن للمنافقين الذين كانوا أحياء في ذلك الوقت، علامات تظهر على أبدانهم فتفضحهم . . .

وعليه فإن البون شاسع جداً، بين الحقيقة وادعاءات المرجفين الذين يعمدون إلى الابتسار والحذف والإضافة،

---

(١) صحيح البخاري، التفسير، سورة النساء، باب: «إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار»، الحديث رقم ٤٦٠٢ [فتح الباري، مرجع سابق، ٨/ ٢٦٦].
وانظر: جامع الأصول - ١١/ ٥٧٤، ٥٧٥، ويعلق ابن الأثير بأن مقصود حذيفة هو أن جماعة من المنافقين صلحوا واستقاموا، وكانوا خيراً من أولئك التابعين الذين كان يخاطبهم، لمكان الصحبة والصلاح، فممن كان منافقاً وصلح أمره واستقام: مُجَمِّع ويزيد ابنا جارية بن عامر، فكأنه أشار بالحديث إلى تقلب القلوب.

لتحقيق غرضهم المريض الذي ما أنزل اللَّه به من سلطان.

وفضلاً عن أن روايات حذيفة -متضافرةً- نصوص حاسمة في المسألة، فإني أضيف إليها حقيقة تاريخية ألحت عليَّ كثيراً منذ شرعت أفكر في الرد على هذه الفرية . . . فلو ظل المنافقون -بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ - فئة كثيرة العدد وذات شوكة مثلما كانت من قبل، لما ترددوا لحظة واحدة عن انتهاز الفرصة التاريخية لهم، ممثلة في ارتداد كثير من العرب، وقلة عدد المسلمين في مكة والمدينة!!! بل إننا لا نلمح لهم أدنى وجود في الحوار بين الخليفة الأول والصحابة الذين كانوا يعارضونه في أول الأمر لما أراد قتال مانعي الزكاة!!

ولسائل أن يسأل: فهل تبخرت أعداد المنافقين بمجرد وفاة النبي ﷺ؟ . . . ونقتبس الإجابة من محكم التنزيل، قال اللَّه عز وجل:

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا باللَّه وأخلصوا دينهم للَّه فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي اللَّه المؤمنين أجراً عظيماً﴾[النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

فباب التوبة المفتوح اتسع لكثير ممن كانوا منافقين ثم آمنوا واستقاموا، تماماً كما قال حذيفة عنهم في حديثه لبعض التابعين في حلقة عبد اللَّه بن مسعود. . . وما من ريب في أن هلاك رأس النفاق في المدينة: ابن أُبيّ في السنة التاسعة للهجرة، وفتح مكة، ودخول العرب في دين اللَّه أفواجاً قبيل انتقال النبي الكريم إلى جوار ربه، كلها كانت عوامل تؤازر هذا الخط، حتى قال الرسول ﷺ -في حديث رواه مسلم عن جابر مرفوعاً-: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[1].

وهناك دليل آخر على ما أزعم، في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتلوا تقتيلاً**﴾[الأحزاب: ٦٠ - ٦١].

فمن الثابت أن اللَّه ما أغرى نبيه بهم، فلم يخرجهم ﷺ من المدينة، ولم يقتلهم، وهو ما يؤكد انتفاء شرط الوعيد الإلهي

---

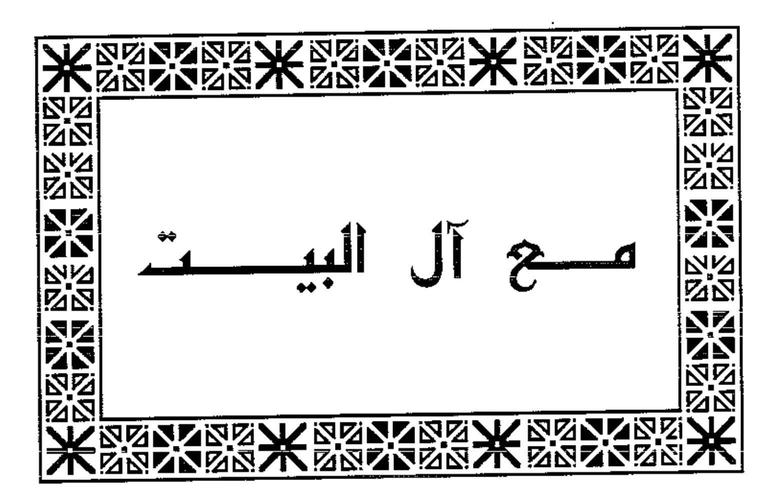
(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، الحديث رقم: ٢٨١٢، ٥/٢٩١.

الجازم المقترن بالقسم وهو ما تأكد في الوعيد للمنافقين بأن يقاتلوا في حروب الردة وإلا فإن اللَّه سيعذبهم عذاباً شديداً:
﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم اللَّه أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليما﴾[الفتح: ١٦].

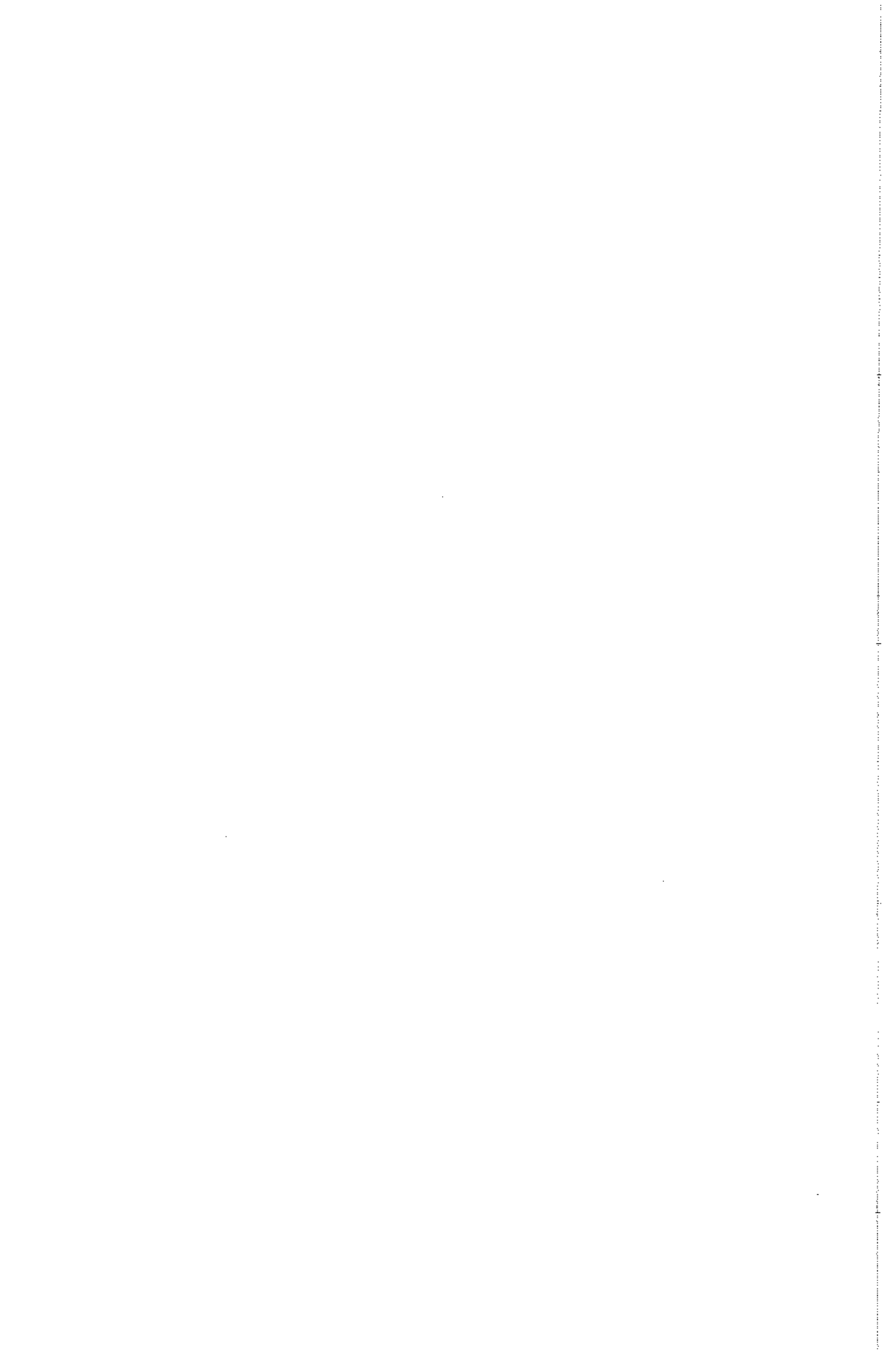
ولم يتخلف عن قتال المرتدين ومانعي الزكاة أحد من كل من ظل يظهر إسلامه!!!

ومن ذلك كله، أخلص إلى أن الحكمة من لائحة الأسماء مع حذيفة، هي أن المنافقين باتوا قلة لا يؤبه بها، فما كانوا لينكشفوا مثلما انكشفوا مراراً في العهد النبوي، عندما يتخلفون عن الغزوات، أو يرجعون وهم في الطريق إليها ليثبطوا من عزيمة المؤمنين، أو عندما يهيئون مسجد الضرار لتمزيق وحدة الصف المسلم.. فوظيفة حذيفة أن يفتضح هؤلاء القلة إذا ما حاولوا إثارة الفتن، أو التصدي لمواقع قيادية، أو ممارسة التحريف في أي شكل من أشكاله.. واللَّه أعلم.

الفصل الثالث



مـــع آل البيـــت



إذا كـان أهل السنة يرون علي بن أبي طالب -رضي اللّه عنه- خليفة راشداً، وواحداً من المبشرين بالجنة، وأول من آمن من الفتيان[1] ، وأنه من أبرز المسلمين جهاداً وشجاعة وتقوى، وأن اللّه فتح على يديه خيبر -كما أخبر بذلك النبي ﷺ من قبل أن تفتح-، وأن علياً رجل يحبه اللّه ورسوله، و . . . . إلى آخر فضائله الثابتة في الصحاح والمسانيد، ومناقبه المشتهرة بين الكافة . . . إذا كانت هذه حالهم فهل من عاقل يتهمهم ببغض آل البيت -والعياذ باللّه-؟ . .

الحقيقة أن المرجفين لا يريدون هذا، فهم يتهمون بالنصب -بغض آل البيت- كل من لا يوافقهم في الغلو في آل البيت، وفي تكفير الصحابة حتى ممن اعتزلوا القتال في الفتنة، بل حتى ممن سبقوا الفتنة كأبي بكر وعمر . . والأدهى من ذلك كله أنهم يقصرون الإيمان على ٤ -وفي رواية على ١٤- من الصحابة، مع أن الذين قاتلوا إلى جانب علي في الجمل ٢٥ بدرياً وأكثر أصحاب أحُد و ٦٠٠ من الأنصار!!!

---

(١) أهل الحديث يرجحون أن علي بن أبي طالب أسلم قبل أبي بكر الصديق. [انظر: الذهبي -تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ عهد الخلفاء الراشدين- مرجع سابق- ص ٦٢٥] وهم الذين أخذوا من الأحاديث الصحيحة التي رووها أن حب علي علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق!! [فتح الباري - ٧/ ٧٢].

وإذ ينددون بتحويل الخلافة على يد الأمويين ملكا عضوضاً، فإنهم يفترون الكذب على اللّه حين يكادون يجعلون لرسالة محمد ﷺ هدفاً مختلقاً تأباه طبيعتها العالمية الشاملة، هو تكريس السلطة في علي وذريته!!

وما الفرق بين هذه الدعوى وما فعله بنو أمية؟.. إن بني أمية -في الأقل- لم يزعموا أن توارثهم الحكم من أركان العقيدة!!.. وإن آل البيت أتقى وأجل من الصورة الظالمة التي اصطنعها لهم هؤلاء باسم محبتهم[1]!!

الحق مع علي

ينقل البغدادي تفضيل أهل السنة أبا بكر وعمر وعلياً من بعدهما، وأنهم اختلفوا في المفاضلة بين علي وعثمان، وقالوا بموالاة عثمان وتبرؤوا ممن أكفره. وقالوا بإمامة علي في وقته، وبتصويبه في حروبه بالبصرة -أي: الجمل- وصفين والنهروان، وقالوا بأن طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتال علي. وقالوا في صفين: إن الصواب كان مع علي، وإن معاوية

(١) للاطلاع على غلو كثير من فرق الشيعة في علي - رضي اللّه عنه- إلى حد التأليه أو ادعاء عصمته، ينظر: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين- تحقيق: هلموت ريتر- ط٣، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ص ٥-٨٥.

وأصحابه بغوا عليه بتأويل أخطؤوا فيه لكنهم لا يكفرون بخطئهم[١] . وقالوا بموالاة الحسن والحسين والمشهورين من أسباط رسول اللَّه كالحسن بن الحسن وعبد اللَّه بن الحسن وعلي ابن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا، وكذلك قولهم في سائر أولاد علي من صلبه كالعباس وعمر ومحمد بن الحنفية، وسائر من درج على سنن آبائه الطاهرين دون من مال منهم إلى اعتزال أو رفض، ودون من انتسب إليهم وأسرف في عدوانه وظلمه كالبرقعي الذي عدا على أهل البصرة، وأكثر النسابين على أنه كان دعياً فيهم[٢]. . .

ولأن موالاة آل البيت موضع إجماع -كما رأينا- وأشهر من أن يبسط القول فيها، نذكر نماذج من مواقف بعض العلماء البارزين:

موقف الإمام أحمد بن حنبل:

مثلما صنف أحمد -رحمه اللَّه- في فضائل الصحابة، فإنه صنف في فضائل علي والحسن والحسين. والمنصوص عن

(١) الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ٣٤٢.
(٢) المرجع السابق - ٣٥٣، ٣٥٤.

أحـمـد وأهـل السنة أنه لا يذم أحـداً من المقـتـتلين في الجـمل وصفين، وأن علياً أولى بالحق من غيره، وإن كانوا يرون أن تَرْك القتال فيهما كان أولى[1] .

وقد اعترض بعض أهل الحديث البصريين على قول الإمام أحمـد: من لم يُرَبِّع بعلي في الخلافة -أي: من لم يعده رابع الخلفاء الراشدين- فهو أضل من حمار أهله، واحتجوا بأن بعض الصحابة لم يربعوا به، غير أن أحمد احتج عليهم بحديث سفينة عن النبي ﷺ : تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً[2] !!

وأخرج ابن الجوزي من طريق عبد اللّه بن أحمد بن حنبل: سألتُ أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: اعلم أن عليّاً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلي[3] .

---

(١) منهاج السنة، مرجع سابق، ١/ ١٩٣ .

(٢) المرجع السابق - ١/ ١٩٢ .

(٣) فتح الباري ٧/ ١٠٤ . . ويقول ابن حجر: فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له.

موقف ابن تيمية:

وهو يشبِّه علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه- بالمسيح -عليه السلام-: غلا فيه قوم، ونقصه آخرون دون قدره. ويهاجم الذين افتروا على علي أنه من المحرضين على قتل عثمان -رضي اللَّه عنه-، ويوضح أن هذه الفرية صدرت عن فئتين: شيعة علي وشيعة عثمان، ويقرر أن جماهير المسلمين يعلمون كذب الطائفتين على علي[1].

ويفند شيخ الإسلام -رحمه اللَّه- الرأي القائل: إن الناس اتفقوا على معاوية ولم يتفقوا على عليّ.. ويقول: نحن مجمعون على موالاة علي ومحبته وأكثر الناس ذوداً عنه في وجه الطاعنين عليه من الخوارج والنواصب.. وعلي أفضل من معاوية وأعلى درجة وأولى بالحق منه باتفاق الناس حتى في معسكر معاوية، فلا ينكره منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه!!

ويورد الفضائل العظيمة الثابتة لعلي في الأحاديث

---

(١) منهاج السنة - ٢/ ١٤٥، ٢٤٦.

الصحيحة، ثم يؤكد أن أهل السنة يفضلون علياً على يزيد بن أبي سفيان، علماً بأن يزيد خير من معاوية[1] !!.

بل إن ابن تيمية يتصدى للنواصب الذين أخذوا على علي عدم قتله قَتَلَة عثمان، فيقول: إن معاوية -برغم اجتماع الناس عليه بعد مقتل علي- لم يقتل قتلة عثمان[2] !!!

ويؤكد أن محبة أهل البيت فرض، ومن أبغضهم فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين[3] .

ويرى أن الحسين قُتل مظلوماً شهيداً[4] ، وأن يزيد بن معاوية لم ينتصر للحسين ولم يأمر بقتل قاتله والأخذ بثأره[5] !!

ويشير إلى ما ثبت من فضائل للحسن والحسين -رضي اللّه عنهما- ولمحمد الباقر وجعفر الصادق الذي يصفه بأنه: من خيار أهل العلم والدين.

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة - ٢/ ١٨٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) المرجع السابق - ٢/ ٢٧٠ - ٢٧٢ .

(٣) ابن تيمية، سؤال في يزيد، ص ٣٠، ٣١.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة، ١/ ١٢٢ .

(٥) المرجع السابق، ٢/ ٣٢٤ .

وأحاديث الباقر وجعفر وابنه موسى في الصحاح والسنن والمسانيد وفي مصنفات فتاوى السلف ككتب ابن المبارك وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغير هؤلاء[1].

موقف ابن كثير:

ونقتطف شهادات منه في عدد من آل البيت الكرام، الأقل شهرة ومكانة من علي -رضي اللَّه عنه- فتتضح حقيقة الموالاة الصادقة من أهل السنة لآل البيت . . .

يقول عن أبي جعفر الباقر (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب): «تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً. روى عن غير واحد من الصحابة، وحدَّث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم. وممن روى عنه: ابنه جعفر وربيعة والأعمش والأوزاعي وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهري[!!]. . وقال عنه محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث»[2].

وفي موضع آخر، يقول عن عبد اللَّه بن حسن بن حسن

---

(١) المرجع السابق ١/ ٣١٠، ٢/ ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩/ ٣٠٩.

ابن علي بن أبي طالب: «. . . تابعي، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين، وعبد اللهّ بن جعفر بن أبي طالب - وهو صحابي جليل- وغيرهم.

وروى عنه جماعة منهم: سفيان الثوري والدراوردي ومالك، وكان معظماً عند العلماء، وكان عابداً كبير القدر. قال يحيى بن معين: كان ثقة صدوقا، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه، ووفد على السفاح فعظمه وأعطاه ألف ألف درهم، فلما ولي المنصور عامله بعكس ذلك، وكذلك أولاده وأهله، وقد مضوا جميعاً والتقوا عند اللّه -عز وجل- وأخذه المنصور وأهل بيته مقيدين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية، فأودعهم السجن الضيق -كما قدمنا - فمات أكثرهم فيه، فكان عبد اللّه بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة، وقد قيل: إنه قتل بالسجن عمداً. . . »[١].

وبلغ التعاطف عند ابن كثير[٢]، أن علق على قتل أبي جعفر المنصور محمد بن إبراهيم بن عبد اللّه بن حسن -الملقب بـ:

---

(١) المرجع السابق - ١٠/ ٩٥.

(٢) وهو ينقل وقوف مالك مع ثورة النفس الزكية ضد المنصور (البداية والنهاية، ١٠/ ٨٤).

الديباج الأصفر لجماله وحسنه -فقال: «فعلى المنصور ما يستحقه من عذاب اللّه ولعنته»[1] . . . مع أن أهل السنة لا يلعنون المعيَّن- شخصاً محدداً- إلا من لعنه اللّه ورسوله بالاسم!!! ورغم ذلك نجد من يتهمهم بأنهم يكرهون آل البيت!!.

«الأسماء» ضد أبي هلالة..

وكيف تستقيم تلك الادعاءات بعد كل ما اتضح من حقائق، وبخاصة أن علماء الحديث الذين تعددت عندهم روايات التشهد في الصلاة، تتفق جميعها على الصلاة على النبي وآله، وإن تعددت الصيغ[2] .

واختلف أهل العلم في تحديد المقصود بـ«آل النبي» على أربعة أقوال، رجح ابن القيم أولها الذي يقول: هم الذين حرمت عليهم الصدقة من بني هاشم وبني المطلب، مع أن القول

---

(١) البداية والنهاية - ١٠/ ٨٢ .

(٢) السيد سابق، فقه السنة، الطبعة الشرعية الثامنة، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١/ ١٥٣، وانظر:

-ابن الأثير، جامع الأصول، مرجع سابق، ٥/ ٣٩٥-٤١٠ .

- الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة، ط٧، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، ١/ ٢٦٦ - ٢٦٧.

الثاني يضيف زوجات النبي ﷺ إلى ذريته الطاهرة[1] !!

فالقضية دين يتبع وليست هوى مطاعاً ولذلك ما من مسلم إلا ويصلي على النبي وآله في صلاته خمس مرات كل يوم -إذا اقتصر على أداء الصلوات الخمس المفروضة- . . وليس في التشهد ذكر للصحابة!!!.

وعلى الرغم من أن تسمية المواليد ليست حجة في ذاتها، فإننا نرد عليها بالعلم لا بالتخرص. . . لقد شاء اللَّه -عز وجل- أن يهدي إليَّ صديق عماني موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، وذلك بعد أقل من يومين من سماعي دعاوى أبو هلالة.

وهذه الموسوعة أول عمل من نوعه في العالم، وشملت العينة التي كانت موضع البحث أكثر من أربعة ملايين شخص في اثني عشر بلداً عربياً[2] !!. . . تعرض الموسوعة قائمة

---

(١) فقه السنة، ١/ ١٥٣.

(٢) موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، جملة باحثين بإشراف: محمد بن الزبير، ط٢، جامعة السلطان قابوس/ مسقط، ومكتبة لبنان/ بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ١/ ١٩.

بأسماء الذكور المئة الأكثر شيوعاً في العينة، ويهمنا منها التالي - مع بيان ترتيبه في القائمة-:

١ - محمد -٢- أحمد -٣- علي -٢٢- عمر -٤٠- عثمان.

وأما أسماء الإناث المئة الأكثر شيوعاً فنختار منها:

٥ - فاطمة -٤٠- عائشة..

وفي القائمة الثالثة لأسماء الذكور والإناث المئة الأكثر انتشاراً، نجد التالي:

٣- علي -٢٢- عمر -٤٠- عثمان -٦٣-فاطمة..

ويغيب اسم «عائشة» تماماً من هذه اللائحة[1] !!!.

والخلاصة الواضحة من ذلك، أن اسم علي أكثر شيوعاً في العالم العربي من اسم عمر، وأكثر بكثير من شيوع اسم عثمان... والأمر ذاته ينطبق على اسم فاطمة الذي تبوأ المرتبة الخامسة في قائمة أسماء الإناث، في حين جاء اسم عائشة في المرتبة الأربعين!!.

---

(١) المرجع السابق، ١/٢٦-٢٨.

نتيجـــة إنكار الســـنة

إن جحود السنة -فضلاً عن كونه كفراً يُخْرِج من الملة -، يذهب بكل الفضائل الجليلة لآل البيت الكرام.. وما وصل النواصب والخوارج والمعتزلة إلى التطاول عليهم، إلا بنكرانهم السنة!!.. ولذلك قد يفاجأ القارئ غير المتخصص عندما يطالع أن الكاملية- وهم فرقة من الشيعة الإمامية- يكفرون الإمام علي ابن أبي طالب -كبرت كلمة تخرج من أفواههم- لأنه لم يقاتل أبا بكر وعمر وعثمان الذين غصبوه الخلافة -حسب ترهاتهم- !![1].

إن الصورة الجائرة المرسومة لآل البيت والصحابة، استفزت الدكتور موسى الموسوي، فتصدى لها في كتابه «الشيعة والتصحيح» الذي يوضح أن تجريح الصحابة من قِبَل الشيعة عمل متأخر ظهر بعد الغيبة الكبرى، ولم يكن في عهد الأئمة، وأن هدفه هدم الإسلام، وأنه يسيء إلى آل البيت[2] -رضي اللَّه عنهم-.

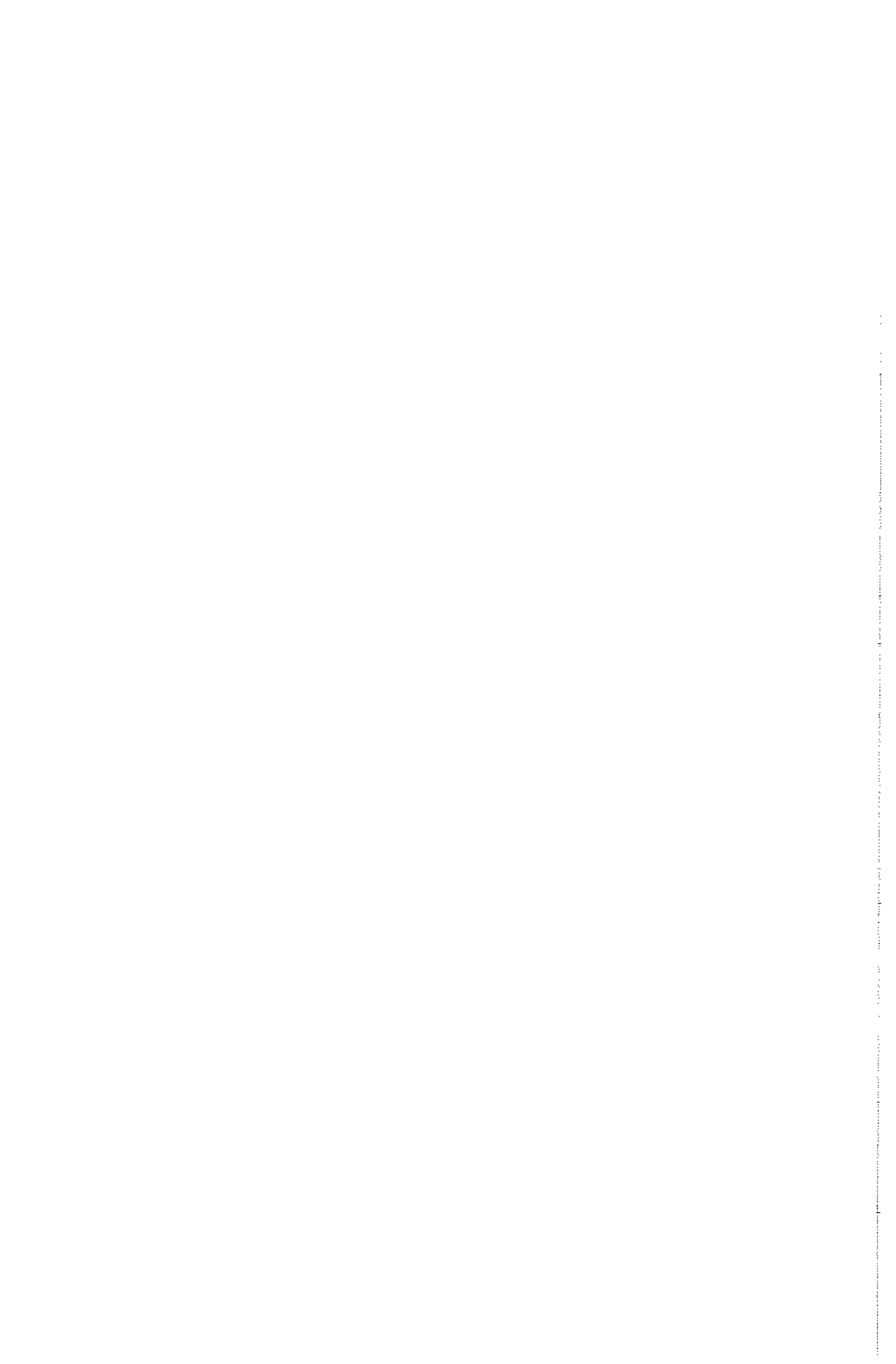
---

(١) الفرق بين الفرق - مرجع سابق- ص ٣٩.

(٢) الموسوي، موسى، الشيعة والتصحيح، طبعة لوس انجلوس، ١٩٨٧م، ص ١٥-١٦.

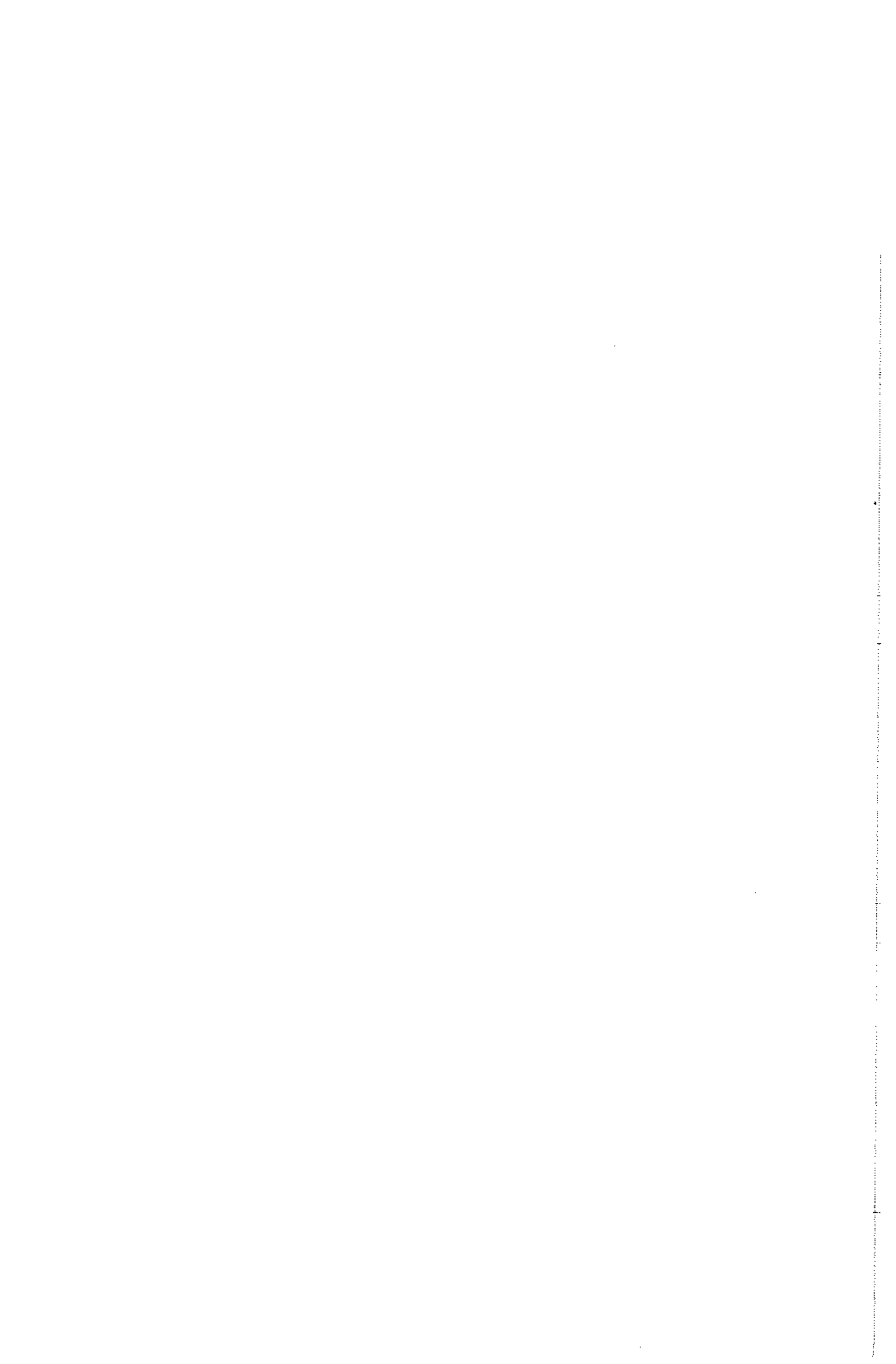
والرجل يدعو الشيعة إلى التزام شهادة علي -رضي اللَّه عنه- في أبي بكر وعمر وعثمان، فتتحقق وحدة المسلمين[1] .

(٢) المرجع السابق، ص٤٨ .



الفصل الرابع





نبحث في الموقف من بني أمية -جملةً- من باب التدرج مع الخصم، وإلا فإن المسؤولية الفردية هي قاعدة الجزاء في الإسلام -قضاءً وديانة- ﴿**ولاتزر وازرة وزر أخرى**﴾[فاطر: ١٨].

وواقعياً، يتعذر الحكم عليهم دفعة واحدة -على طريقة الموتورين-، وفيهم من أهل السابقة إلى الإسلام واحد كعثمان ابن عفان، هاجر إلى اللَّه، وناصر الإسلام، وزوجه النبي ﷺ اثنتين من بناته واحدة بعد الأخرى.. وفيهم من أهل العناد شخص كأبي سفيان تأخر إسلامه كثيراً، في حين أمضى معظم سنوات الدعوة على رأس أعدائها المشركين...

ومن بني أمية عمر بن عبد العزيز، الذي أجمع أهل القبلة -بل وكثير من غير المسلمين -على عدله، حتى أطلق عليه لقب «خامس الخلفاء الراشدين»، ومنهم فاجر متهتك كالوليد بن يزيد بن عبد الملك...

ومن بني أمية يزيد بن أبي سفيان الصحابي الذي ولاه أبو بكر الصديق قيادة أحد الجيوش الأربعة التي وجهها إلى فتح الشام، وولاه الفاروق -الخبير بالرجال- دمشق بعد أن مَنَّ اللَّه

على المسلمين بفتحها في عهد عمر . . . وكان في بني أمية قوم صالحون ماتوا قبل الفتنة[1] ، لكن الحاقدين الذين يرون بعيون أهوائهم لم يسلم منهم أبو بكر وعمر، وهما فوق جميع بني أمية بتاريخهما المجيد في خدمة الإسلام، وبما في سجلهما من أوسمة وتزكيات نبوية لم ينلها سواهما . . فكيف ينجو بنو أمية الذين ماتوا قبل الفتنة؟!

والنبي ﷺ استعمل عدداً من بني أمية أكثر من سواهم، فقد ولى عتاب بن أسيد على مكة بعد الفتح، وخالد بن سعيد بن أبي العاص وأخويه أباناً وسعيداً، كما استعمل أبا سفيان -أو ابنه يزيد- على نجران[2] .

وبعد وفاة النبي ﷺ ، ذرت فتنة الردة قرنها، فكانت فرصة ذهبية لبني أمية لينقضوا على الدولة الإسلامية بعد أن تكالب الكل عليها -لو كان بنو أمية كلهم أو معظمهم كفرة أو منافقين كما يزعم المفترون- . . غير أن ما جرى هو نقيض ذلك تماماً، فكثير منهم قد أبلوا بلاء حسناً في قتال المرتدين ومانعي الزكاة

---

(١) منهاج السنة، مرجع سابق، ٢/ ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق، ٢/ ١٨٢ .

وفتوح الشام[1] .

فالحق -إذاً- ألا نزكي بني أمية بقضهم وقضيضهم، وألا نقذفهم قاطبة باتهامات لا يسندها دليل . .

شهادة ضمنية...

إن القارىء الكريم في غنى عن التذكير بما ورد آنفاً، من أنه لا مجال للمقارنة بين علي -رضي اللَّه عنه- ومعاوية . . غير أن تلك مسألة، واتهام معاوية بالنفاق مسألة أخرى . . . فلو افترضنا -جدلاً- أنه ليس صحابياً، فإن الأصل في المسلم ظاهره، وأما السرائر فهي اختصاص إلهي صرف . . . ومهما وقع المسلم في ذنوب- دون الشرك- فإنه في مشيئة اللَّه : إن شاء غفر له رحمة وفضلاً، وإن شاء عذبه حقاً وعدلاً :

﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[النساء : ٤٨] .

وإذا كان خاتم الأنبياء والرسل ﷺ لم يعلم المنافقين بأعيانهم

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، سؤال في يزيد بن معاوية، تحقيق : صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب الجديد/ بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٩، ١٠ .
وانظر : -حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ١/ ٢٧٧ .

إلا بالوحي من اللّه، فكيف يجترئ عاقل على توزيع الاتهامات بالنفاق جزافاً؟! . . أليس ذلك تألياً على اللّه؟! .

وبالعودة إلى حذيفة بن اليمان -صاحب سر رسول اللّه ﷺ- يطرح السؤال نفسه: هل كان حذيفة ليسكت على تولية منافق يعلمه يقيناً؟ فلقد ولي معاوية في عهد عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- ، وحذيفة توفي في مطلع عهد علي -رضي اللّه عنه-!! .

أليس الساكت عن الحق شيطاناً أخرس؟ . . . إننا نربأ بحذيفة أن يغضي عن مسألة بهذه الخطورة، لا سيما أنه كان يمتاز بالجرأة والصدع بكلمة الحق دون مواربة . . .

ذلكم ما يقتضيه المنطق الفطري الجلي، فكيف إذا انضمت إليه واقعة عملية تؤيده؟! . تقول الواقعة: لما بويع علي -رضي اللّه عنه- كان حذيفة عليلاً بالكوفة، فدعا الناس إلى المسجد وصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم أوصى الحاضرين بنصرة علي ومؤازرته لأنه على الحق أولاً وآخراً. ولأنه -عنده- خير من مضى بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة، وأمر ولديه صفواناً وسعداً أن يكونا مع علي، فستكون له حروب كثيرة، وهو على الحق، ومن خالفه على الباطل . .

وتوفي حذيفة بعد ذلك اليوم بسبعة أيام، وقيل: بأربعين يوماً[1].

والسؤال هو: لِمَ وصف حذيفة من سيخالف علياً بأنه على الباطل، ولَمْ يصفه بالنفاق لو كان يعلم أنه منافق؟!..

الفئة الباغية!!

يضاف إلى ذلك أن معاوية وعسكره الذين قاتلوا علي بن أبي طالب في صفين، موصوفون بـ «الفئة الباغية» في حديث صحيح، له في صحيح مسلم أكثر من رواية، فضلاً عن الترمذي والطبراني..

فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول اللّه ﷺ قال: لعمار بن ياسر -رضي اللّه عنه- : «تقتلك فئة باغية»[2]، وفي رواية عن أم سلمة مرفوعاً: «تقتلك الفئة الباغية»[3]..

والفئة الباغية لا تخرج من دائرة الإيمان، بدليل قوله

---

(١) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٢/ ٣٩٤.

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، ٥/ ٣٥٨، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: علامات قيام الساعة، الحديث رقم ٢٩١٥.

(٣) المرجع السابق، ٥/ ٢٥٩، الحديث رقم ٢٩١٦.

-تعالى-: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر اللَّه فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن اللَّه يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا اللَّه لعلكم ترحمون﴾[الحجرات: ٩-١٠].

فالبغي مرفوض شرعاً، لكنه لا يُخْرِجُ الباغين من دائرة الإيمان، وإذا وصفهم اللَّه بأنهم مؤمنون، فإن من يصفهم بالكفر أو النفاق متطاول يتألى على اللَّه -عز وجل-.

حسنات معاوية

عند النظر إلى معاوية بمنظار تاريخي محايد، يتضح أنه -ماعدا قتاله علياً وتحويله نظام الحكم من خلافة إلى ملك- شخص ذو مآثر. فهو أحد كُتَّاب الوحي[1]، وقاتل في حنين مع النبي ﷺ، ثم قاتل مع جيوش المسلمين جحافل الردة في موقعة اليمامة التي لقي فيها عدو اللَّه مسيلمة الكذاب حتفه، كما ولاه الصديق قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد، فكان على مقدمته في فتح صيداء وعرقة وجبيل وبيروت.

---

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٨/ ١١٧.

وافتتح جزيرة قبرص في سنة ٢٧ الهجرية، فكان أول مسلم ركب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) مجاهداً. وبلغت فتوحات جيوشه المحيط الأطلسي وبلاد السودان، وكثيراً من جزائر اليونان والدردنيل، وحاصر المسلمون في عهده مدينة القسطنطينية براً وبحراً سنة ٤٨هـ[١].

وبرغم أن المسعودي يتشيع لعلي ويغمز من معاوية، فإنه شهد له بالحرص على العدل وقضاء حوائج الناس، وذكر أن عبدالملك بن مروان وغيره هموا أن يتخلقوا بأخلاق معاوية فلم يدركوا حلمه ولا إتقانه للسياسة ولا التأتي للأمور، ولا مداراته للناس على منازلهم ورفقه بهم على طبقاتهم[٢].

وفي وسع الباحث أن يقول في معاوية ما قاله فيه ولده يزيد - على انحرافه -: إنه خير ممن بعده ودون من قبله ولا أزكيه على اللّه -عز وجل-[٣].

---

(١) المرجع السابق - ٨/ ١١٨، وانظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، دار العلم للملايين/ بيروت، أيار (مايو) ١٩٨٠م، ٧/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) مروج الذهب، مرجع سابق، ٣/ ٣٩-٥٩.

(٣) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٨/ ١٤٣.

غير أن معاوية ليس من الخلفاء الراشدين، فالخلافة الراشدة حسب النصوص النبوية -وهو ما التزمه السلف الصالح- تنتهي بتنازل الحسن بن علي -رضي اللَّه عنهما- لمعاوية عام ٤١ هـ. .

وتلك من أعظم مآثر الحسن -سبط رسول اللَّه-، إذ قدَّم حقن دماء المسلمين على حقه في الخلافة!!.

فهل من الحكمة أن نزايد على السبط الكريم وأحد سيدَّيْ شباب أهل الجنة؟!.

إن معاوية دون الحسن من حيث الفضل، فكيف وعلي أفضل من ولديه؟. . غير أننا لا نتجاوز حدود ما أنزل اللَّه فنفتري على عقائد الخلق زوراً وبهتاناً، مع أن تاريخهم اللاحق لخطئهم تضمن خيراً كثيراً؟!. . وعلى افتراض أن ما فعله معاوية قبل أن يبايعه الناس كفر تبعته توبة فهل يعيَّر بماضيه؟!. . -وهذا مجرد افتراض جدلي-.

إن معاوية حكم المسلمين بعد عام الجماعة (٤١هـ) أكثر من ١٩ سنة، فلم يرد اسمه بين المبشرين بالجنة -صراحة ولا

ضمناً!![1] -، وهذا معناه:

- إما أنه يتورع -وهذا حق- عن الكذب على النبي.
- وإما أن الأمة ممثلة في علمائها المخلصين لا تسمح بأن يندس في السنة النبوية ما ليس منها..
- وإما أن الأمرين كليهما حقيقة لا تقبل الجدل.. وهذا هو الثابت فعلاً..

والأمة التي عدَّت معاوية أول ملك في الإسلام، هي التي أسبغت على عمر عبد العزيز لقب خامس الخلفاء الراشدين مع أنه ليس صحابياً وحكمه لم يتجاوز سنتين وبضعة أشهر!!! فهذه شهادة لمعاوية ولعمر وللسلف الصالح من العلماء العاملين.

---

(١) بل إن ابن القيم -رحمه اللَّه- يقول: ومن ذلك أي: الموضوع- ما وضعه بعض جهلة أهل السنة في فضائل معاوية بن أبي سفيان. قال إسحاق بن راهويه:
لا يصح في فضل معاوية بن أبي سفيان عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم شيء....».
[ابن قيم الجوزية، المنار المنيف، ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية/ حلب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١١٦.
وانظر: فتح الباري، ٧/ ١٠٤.

الهوى والهوى المضاد...

يحرم الإسلام الافتراء على الإنسان -حتى لو كان غير مسلم-، لكنه يأبى -في الوقت ذاته- مسلك التبرير الذي اعتمده بعض الباحثين من باب رد الفعل على الاتهامات بالكفر والنفاق لبني أمية كافة، لأن معالجة الخطأ تتم باتباع الحق لا باللجوء إلى خطأ يقابل الأول.

من ذلك ما فعله محب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب: «العواصم من القواصم» لأبي بكر بن العربي.. فهو يزعم أن الخلافة والمُلْك والإمارة عناوين اصطلاحية[1]، مع أن الحديث الصحيح يفرّق بين الخلافة والملك، الأولى: راشدة على منهج النبوة، ومدتها ثلاثون سنة!!.. والواقع التاريخي يميز بين الأمرين، حتى إن ابن العربي ذاته يصف معاوية بأنه ترك الأفضل وهو أن يجعلها شورى ولا يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولداً؟![2].

---

(١) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد اللّه، العواصم من القواصم، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط٥، الناشر: قصي محب الدين الخطيب، ١٣٩٩هـ، هامش ص ٢٠٧..

(٢) المرجع السابق، ٢٢٢.

والفــارق الواضح جــداً بين الأمــرين، هو الـذي اسـتــفـز الصحابي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فجعله يعارض أخذ البيعة ليزيد في حياة معاوية، ويصفها بأنها هرقلية وقيصرية، مع أن عبد الرحمن لم يكن من شيعة علي بل إنه قاتله في موقعة الجمل!!.. وأراد مروان بن الحكم إسكاته فاتهمه أنه هو الذي نزل فيــه قــوله تعــالى: ﴿**والذي قـــال لـوالديـه أف لكما**﴾[الأحقاف: ١٧] وردت عليه عائشة -رضي اللّه عنها- من وراء حجاب تكذّب ادعاء مروان[1].

ومن عجيب أمر الخطيب ادعاؤه أن معاوية كان يعلم أن فتح باب الشورى في انتخاب من يخلفه سيُحْدث في الأمة مجزرة لا ترقأ فيها الدماء إلا بفناء كل ذي أهلية في قريش لولاية شيء من أمور هذه الأمة[2]. فمتى كان تنفيذ شرع اللّه يؤدي إلى مفسدة -معاذ اللّه-.. لكنه الهوى ومعالجة الخطأ بالخطأ..

---

(١) صحيح البخاري، التفسير، سورة الأحقاف، باب: «والذي قال لوالديه أف لكما...»، الحديث رقم ٤٨٢٧ [فتح الباري، ٨/ ٥٧٦].
وانظر: جامع الأصول، مرجع سابق، ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة، ١٣٧١هـ، ص ٢٠٣.
(٢) العواصم من القواصم، مرجع سابق، ٢١٥.

ويبلغ الخلل مداه عندما يسيغ الخطيب إقدام معاوية على قتل حجْر بن عدي، لأنه حَصَبَ أميره وهو يخطب، بأن لمعاوية عذراً إذا رأى أن حجراً ممن سعى في الأرض فساداً، وبأنه ما من حكومة في الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره[1]!!!.

ونسي محب الدين الخطيب في غمرة حماسه أن الحكومة الإسلامية ليست كأي حكومة، وأن هدر دم المسلم المعصوم ليس أمراً بهذه البساطة.. فهل يعاقب حاصب أميره بالقتل؟!..

نعم.. لولي الأمر أن يعاقبه، ولكن ليس بالقتل.. ولذلك لم يسلم معاوية من ملامة عائشة -أم المؤمنين- على قتله حجراً..

ولعل أفضل رد على هذه الدعوى هو ماقاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه اللَّه-: «نحن لا ننزه معاوية ولا من هو أفضل منه عن الذنوب فضلاً عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد.»[2].

بيد أن الصحابة لو أذنبوا فإن لهم سوابق مشرفة، والذنوب

---

(١) المرجع السابق، ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) منهاج السنة - ٢/ ٢٦١.

-عموماً- تُغْفَرُ بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة. . .[1].

غير أن أبشع ماقاله الخطيب هو زعمه أن منتحلي الأقوال المتضمنة استطالة على معاوية لم يطعنوا في كفاءة يزيد وأهليته، لأنها آخر ما يرتابون فيه[2] !!!. . فكيف تكون كفاءة يزيد فوق مستوى الشك، مع أنهم -حسب قوله- استطالوا على معاوية ذاته؟!. . أو لَمْ يقف نحو من نصف المسلمين في معارضة معاوية نفسه، فلم يسلموا له بالطاعة إلا بعد أن تنازل له الحسن ابن علي -رضي اللّه عنهما-؟!. .

بل إن ابن عمر -رضي اللّه عنهما- كان يود الرد على معاوية بالقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، لولا أنه خشي من أن تفرق كلمته صف الأمة وتسفك الدم، وذكر ما أعد اللّه في الجنان لعباده المتقين فأحجم[3]. .

---

(١) المرجع السابق - ٢/ ٢٣٤.

(٢) العواصم، مرجع سابق، ٢١٧.

(٣) العواصم، مرجع سابق، ٢٢٣ - ٢٢٤، جامع الأصول، مرجع سابق، ١٠/ ٩٣، ٩٤.

رأي السلف في يزيد

قال ابن كثير -رحمه اللَّه-: الناس في يزيد ثلاثة أقسام، قسم يتولون يزيد وهم من النواصب الحاقدين على آل البيت، وقسم يشنعون ويفترون عليه كثيراً كغلاة الشيعة، وطائفة ثالثة لا يحبونه ولا يسبونه، فلم يكن زنديقاً ولكن وقع في زمانه حوادث فظيعة وأمور مستنكرة بشعة شنيعة، منْ أنْكَرِهَا قتل الحسين على غير علم من يزيد، ولعله لم يرض به ولم يسؤه، وذلك من الأمور المنكرة جداً. . ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة المنورة. .[1].

وكان أبو هريرة -رضي اللَّه عنه- يستعيذ باللَّه من أن تدركه سنة ستين الهجرية، وهي السنة التي تولى فيها يزيد[2] !!.

ويكفي فيه أن صالح بن أحمد بن حنبل قال لأبيه: «إن قوماً يقولون: إنهم يحبون يزيد، فقال: يابني وهل يحب يزيد أحد يؤمن باللَّه واليوم الآخر؟ فقال صالح: ياأبت فلماذا لا تلعنه؟

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٦/ ٢٢٩.

(٢) دفاع عن السنة، مرجع سابق، ١٨٥.

قال: يابني، ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟»[1] .

وقال ابن تيمية عن وقعة الحرة التي اقترفها جيش يزيد بالمدينة: «وهذه من كبائره، ولهذا قيل لأحمد: أتكتب الحديث عن يزيد؟ فقال: لا ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟»[2] .

أما السيوطي فيلعن قاتل الحسين وعبيد اللّه بن زياد ويزيد معهما[3] . . وينقل عن الذهبي قوله[4] : «ولما فعل يزيد بأهل المدينة مافعل -مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات- اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك اللّه في عمره. . .»[5] .

(١) ابن تيمية، سؤال في يزيد بن معاوية، مرجع سابق، ص٢٧
وانظر: الذهبي، أبو عبد اللّه محمد بن عثمان، المنتقى من منهاج الاعتدال (مختصر منهاج السنة)، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ، ص ٢٩٥.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٢٩٥، وانظر: سؤال في يزيد، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) تاريخ الخلفاء، مرجع سابق، ٢٠٧ .

(٤) المرجع السابق، مرجع سابق، ٢٠٩ .

(٥) من الكتب الجديرة بالاطلاع عليها لمعرفة مجريات الأحداث في تلك الحقبة وتفسيرها بصورة مقبولة، كتاب الدكتور يوسف العش -الدولة الأموية- الطبعة الثانية- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م- دار الفكر بدمشق.

الفصل الخامس



ابن عمر والزهري المفترى عليهما

ابن عمر والجبن!!

تجمع المصادر الإسلامية المعتبرة على ورع عبد اللَّه بن عمر -رضي اللَّه عنهما- وعلى زهده وشدة اتباعه السنة -حتى فيما كان يفعله النبي ﷺ بحكم الجبلّة البشرية!!-.

وقداعتزل ابن عمر الفتن ككثير غيره من الصحابة، اعتقاداً منه أن ترك القتال هو الأوْلى، ولم يكن ذلك جبناً منه وفقاً لادعاءات أبي هلالة.

وفي غزوتي بدر وأحد، رد النبي ﷺ ابن عمر وآخرين من فتيان الصحابة كانوا متشوقين إلى الجهاد في سبيل اللَّه، وسبب ردهم صغر أعمارهم، فهل يكون المندفع إلى القتال في يفاعته جباناً، مع أن المسلمين قبل بدر لم يكن لهم من الأسباب ما يجعلهم يظنون أن الغلبة ستكون لهم ذات يوم، باستثناء إيمانهم بأن وعد اللَّه حق، وأنه -عز وجل- سينصرهم، في حين أن كفتي المقتتلين في الفتن كانتا شبه متكافئتين!!

والمعركة الأولى التي خاضها ابن عمر في حياته هي غزوة

الخندق، وكان في الخامسة عشرة من عمره.. ثم شهد مع الرسول ﷺ فتح مكة والمشاهد التالية له، كما شارك مع جيوش المسلمين بعد ذلك في فتح مصر وفي موقعة نهاوند[1].

غير أن ابن عمر لبس السلاح لقتال نجدة بن عامر الحنفي -رأس الخوارج-[2]،.. لماذا؟.. لأن في قتال الخوارج نصوصاً نبوية صريحة تثني على من يقاتلهم ويقتلهم!!.

وقد مر بنا من قبل أن ابن عمر رغب في الرد على معاوية الذي ادعى أنه ما من أحد أحق منه بولاية أمور المسلمين.. كان يود أن يقول له: أحق بهذا الأمر من قاتلك وأباك على الإسلام، لكنه تراجع إدراكاً منه لما سينجم عن رده من فتنة وتمزيق لصف المسلمين..

واستاءت حاشية عبد الملك بن مروان من رسالة بعثها إليه ابن عمر بدأها باسمه قبل اسم الخليفة: من عبد اللّه بن عمر إلى أمير المؤمنين عبد الملك.... غير أنهم احتملوها منه لما رجعوا

(١) علي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر، ط٨، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٤٣٢.
(٢) المرجع السابق، ٤٥٥.

إلى رسائل سبق أن بعث بها إلى معاوية، فإذا هي بالطريقة نفسها[1] !!.

أفما كان أحرى به -لو كان كما قال أبو هلالة- أن يصانع بني أميه ويجاملهم، لاسيما أن زمام الأمور قد استقر في أيديهم؟!!.

ويسأله عن عثمان وعلي سائل يكرههما، فيذكر ابن عمر محاسنهما -رضي اللَّه عنهما-[2]، مع أن الجبان لا يذكر محاسن علي في عهد معظم الأمويين!!.

والأبلغ من كل ذلك، اصطدام ابن عمر بالحجاج بن يوسف الثقفي، الظلوم الغشوم، حتى قيل: إن الحجاج دس عليه من طعنه بحربة مسمومة فمرض بها ومات[3] !!

إن اعتزال الفتنة موقف اجتهادي وقفه عدد غير يسير من الصحابة، وإذا كانت الشجاعة ليست أبرز صفات ابن عمر،

---

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩/ ٦٣.

(٢) فتح الباري، مرجع سابق، ٧/ ٧٠-٧١، وانظر: جامع الأصول، مرجع سابق، ٨/ ٥٨٣.

(٣) السنة ومكانتها للسباعي ص٧٧، تاريخ الخلفاء، ص٢١٥، أخبار عمر، ص٤٥٨، (جميعها مراجع سابقة)

فإنها السمة الأولى في سعد بن أبي وقاص -رضي اللَّه عنه- الذي كان من أوائل المؤمنين، ونَصَرَ الدين في عهد النبوة قبل الهجرة وبعدها، وفي عهود الخلفاء الراشدين، وبخاصة في فتوح العراق... ومع ذلك فقد كان سعد ممن اعتزلوا القتال بين جيش علي وجيش معاوية..

* * *

الحقد على الزهري

حظي الإمام ابن شهاب الزهري بأوفر قسط من افتراءات المستشرقين -وبخاصة المستشرق اليهودي الحقود: جولد زيهر- وأتباعهم من المتغربين كحسين أحمد أمين[1] .

فزعموا -خلافاً للحقائق الناصعة- أنه كان يختلق الأحاديث النبوية لمصلحة الأمويين[2] !!.. في حين أن أول ما يطالعنا من سيرته أنه تتلمذ على يد إمام التابعين: سعيد بن المسيب، الذي لا يخشى في الحق لومة لائم، والذي كان ينكر على الحكام الأمويين كل ما يراه مخالفاً لأحكام الشرع الحنيف.

وما كان ابن المسيب الذي يأمر الحكام بالمعروف وينهاهم عن المنكر ما كان ليتغاضى عن الزهري لو كان هذا يداهنهم على حساب الدين!!

لقد ادعى جولد زيهر أن الزهري وضع على النبي ﷺ

---

(١) أمين، حسين أحمد، دليل المسلم الحزين، مرجع سابق، ص٥٥، ٥٦. وانظر: الأسعد، منذر، إسلام آخر زمن ١/ ٢١، ٣/ ٨٥-٨٧.

(٢) السنة ومكانتها، للسباعي، مرجع سابق، ٢١٣-٢٢٦.

حديث : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. . . ، لصالح عبد الملك بن مروان الذي أراد أن يصرف الناس عن الحج أيام سيطرة عبد اللّه بن الزبير على الحجاز!!

وفي ذلك -فضلاً عن الكذب والبهتان- ما يصطدم بالحقائق الحاسمة التالية:

١ - أن المسجد الأقصى المذكور في الحديث هو ذاته المذكور في القرآن الكريم ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾[الإسراء: ١].

فالمسجد منصوص عليه في كتاب اللّه من قبل أن يحكم عبد الملك بأكثر من ٦٠ عاماً!!.

٢ - أن مسجد الصخرة الذي بناه عبد الملك ليس وارداً في الحديث!!.

٣ - لم يفهم مسلم واحد في تاريخ المسلمين كله أن شد الرحال إلى المسجد النبوي أو المسجد الأقصى يغني عن فريضة الحج خامس أركان الإسلام!! والحديث يشير إلى إباحة شد

الرحال إلى المساجد الثلاثة دون سواها، ولا يقول أكثر من ذلك.

٤ - أن الزهري تعرف إلى عبد الملك بن مروان بعد مقتل ابن الزبير بسنوات سبع[1]!!!.

٥ - أن حديث شد الرحال رواه الزهري عن سعيد بن المسيب -الذي كان يؤرّق عبد الملك بن مروان وطريقته في الحكم-!!! وسعيد توفي بعد مصرع ابن الزبير بعشرين سنة[2]!!!

---

(١) انتقلت الخلافة إلى عبد الملك سنة ٦٥هـ وكان مقتل عبد اللّه بن الزبير سنة ٧٣، أما الإمام الزهري فقد ولد سنة ٥٨ هجرية، أي: أن عمره كان سبع سنين عندما بويع عبد الملك بالخلافة، وخمس عشرة سنة عند مصرع ابن الزبير، فهل كان عبد الملك من الغباء إلى درجة الاعتماد على شاب يافع يطلب العلم ليلفق له حديثاً ينطلي على مئات الصحابة وألوف التابعين؟! [ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ١/ ٤١٥ و ١/ ٥٢٣]، وانظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ٤/ ٨٧ و ٤/ ١٦٥ و ٧/ ٩٧، والذهبي: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ١/ ١٠٩، ١١٠.

(٢) ابن حجر، تقريب التهذيب، ١/ ٣٠٦، وانظر: السنة ومكانتها للسباعي- ٢١٩.

من مواقف الزهـري

إن الزهري -بخلاف مزاعم جولد زيهر ومن داروا في فلكه - كان يجلّ آل البيت الكرام، ولذلك تراه يعلّق على تعجل زيد ابن علي في الخروج قبل التهيؤ الكامل: «أهلك أهل هذا البيت العَجَلة»[1].

والزهري روى الحديث النبوي عن أبي جعفر الباقر[2] (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب).

والزهري كان أحد أبرز الذين أخذ جعفر الصادق العلم عنهم[3]!!

ومن أصح الأسانيد عند أهل الحديث: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- عن رسول الله ﷺ[4].

---

(١) العبدة، محمد سليمان، حركة النفس الزكية (محمد بن عبد الله بن الحسن - دراسة وتقويم)، ط١، دار القلم/ الكويت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ص ٤٣.

(٢) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩/ ٣٠٩.

(٣) منهاج السنة، مرجع سابق، ٢/ ١٥٤.

(٤) جامع الأصول، مرجع سابق، ١/ ١٥٤.

ومنها: الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ[1].

ولننظر في مواقفه المشهودة مع بني أمية..

أخرج البخاري من حديث الزهري أن الوليد بن عبد الملك سأله: أَبَلَغَك أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ فقال الزهري: لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن عائشة قالت لهما: كان علي مُسَلِّماً في شأنها[2]!!

وأخرج البخاري أيضاً من حديث الزهري عن عروة عن عائشة: (والذي تولى كبره منهم): عبد اللَّه بن أُبَيّ[3]..

فلو كان الزهري كما زعموا، لتجاوب مع دعاية النواصب الذين كانوا يفترون على علي -رضي اللَّه عنه- أنه تولى كِبْر حديث الإفك -كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إَلا كذباً-. لكنه نفى، واستثنى ما بلغه عن أم المؤمنين بواسطة اثنين من بني أمية!!.

---

(١) المرجع السابق - ١/ ١٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: حديث الإفك، الحديث رقم ٤١٤٢ [فتح الباري، ٧/ ٤٣٥].

(٣) التفسير، سورة النور، باب: «إن الذين جاؤوا بالإفك...»، الحديث رقم ٤٧٤٩ [فتح الباري، ٨/ ٤٥١].

وفي الحديث الآخر، يحدد الشخص الذميم صراحة وهو رأس المنافقين في المدينة. وبعد عهد الوليد حاول هشام بن عبد الملك أن يجدد الدعاية الظالمة عن علي -رضي اللَّه عنه- فأكد الزهري أن الذي تولى كبر حديث الإفك هو عبد اللَّه بن أبي بن سلول، فقال له هشام: كذبت.. وثار الزهري قائلاً: أنا أكذب؟! لا أبا لك!! فواللَّه لو نادى مناد من السماء أن اللَّه أحل الكذب ماكذبت!!!.. ثم روى له ما حدثه به عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعبيد اللَّه بن عبد اللَّه وعلقمة بن وقاص -كلهم- عن عائشة أن الذي تولى كبره: عبد اللَّه بن أبي.. فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل، فواللَّه ما كان ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك[1] !!.

أفمثل هذا الإمام الجريء يكذب؟ وعلى رسول اللَّه ﷺ بل وعلى رب العالمين؟!!..

* * *

---

(١) البداية والنهاية، مرجع سابق، ٩/ ٣٨٤.

الخاتمة

لقد اتضح من كل ما سلف بيانه من أدلة نقلية وعقلية، أن أهل السنة لا يبالغون في تقدير صحابة رسول الله ﷺ فالصحابي -عندهم- بشر يصيب ويخطئ وليس معصوماً من المعصية، غير أن الصحابة -رضي الله عنهم- لا يكذبون في تبليغ نصوص الكتاب والسنة، وتلك خلاصة تزكياتهم الرفيعة الواردة في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف، فضلاً عن أن عصمتهم من الكذب على الوحي، هي -في الدرجة الأولى- حفظٌ لدين الله من أن يتطرق إليه التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل، فقد تكفل الله -سبحانه- بحفظ القرآن، والسنة النبوية مكملة للقرآن ومفسرة له، فحفظها حفظ له.

وأهل السنة يجلّون آل بيت النبوة، ويعتقدون أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- كان على حق في مواقع: الجمل وصفين والنهروان، وأن معاوية وجيشه بغوا عليه بتأويل غير صحيح، لكن البغي لا يُخْرج فاعله من الإسلام.

وتبين -كذلك- أن المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، ليسوا من الصحابة قطعاً، ولم يكونوا مجهولي الأعيان في كل مراحل العهد المدني من البعثة النبوية المباركة، فبعضهم هلكوا، وفريق ثان تابوا وحسن إسلامهم، وبقيت فئة قليلة جداً خص الرسول ﷺ الصحابي: حذيفة بن اليمان بمعرفة أسمائهم، ولو كانوا قادرين على التلاعب في النصوص الشرعية لكشف النبي ﷺ عن هويتهم للجميع . .

كما أن حذيفة المشتهر بالجرأة في الحق، لم يكن ليسكت على أي منافق يختلق على الوحي أو يتسلم منصباً . .

إن المسائل -حسبما يزعم مؤلف هذا الكتاب- أصبحت جلية لا إبهام فيها ولا تداخل، وقلبه مُشْرَعٌ -في الوقت نفسه- لكل تصويب، فالحق هو بغية كل مسلم -بإذن اللّه- . .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

المؤلف

مراجع الكتاب

* القرآن الكريم

* **ابن الأثير (الجزري)، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد:** جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط -ط٢، دار الفكر/ بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* **الأسعد، منذر:** إسلام آخر زمن، ط١، دار المعراج الدولية للنشر/ الرياض [جـ١ : ١٤١١هـ، جـ٢ : د. ت، جـ٣ : ١٤١٣هـ].

* **الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل:** الإبانة عن أصول الديانة، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الرياض، ١٤٠٠هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - تحقيق: هيلموت ريتر - ط١ - دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

* **أمين، حسين أحمد:** دليل المسلم الحزين، ط٣، مكتبة مدبولي

بالقاهرة، ١٩٨٧م [ومعه في غلاف واحد، الطبعة الثانية من كتاب: حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، للمؤلف نفسه].

* **البغدادي عبد القاهر بن طاهر:** الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ط٥، دار الآفاق الجديدة/ بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى:** الجامع الكبير - تحقيق: أحمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* **التهانوي، ظفر أحمد العثماني:** قواعد في علوم الحديث، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (ومراجعة نصوصه والتعليق عليها)، ط٥، مكتب المطبوعات الإسلامية/ حلب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

* **ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم:** منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية، مكتبة الرياض الحديثة/ الرياض، د. ت.

- سؤال في يزيد بن معاوية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب الجديد/ بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- سؤال في معاوية بن أبي سفيان - تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد/ بيروت، ١٩٧٩م.

* **الجزيري، عبد الرحمن:** الفقه على المذاهب الأربعة - ط٧، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* **حسن إبراهيم حسن:** تاريخ الإسلام السياسي، د.ن، د.ت.

* **الخطيب (البغدادي)، أبو بكر أحمد بن علي:** الكفاية في علم الرواية - تحقيق: أحمد عمر هاشم - ط١، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان:** تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام/ عهد الخلفاء الراشدين - تحقيق: عمر عبد السلام تدمري -ط١، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- المنتقى من منهاج الاعتدال (مختصر منهاج السنة)- تحقيق: محب الدين الخطيب- المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ.

-تذكرة الحفاظ - تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - دار إحياء التراث العربي -د. ت - توزيع: دار الباز بمكة المكرمة.

* **ابن الزبير، محمد (إشراف):** موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب -جملة باحثين- ط٢، جامعة السلطان قابوس/ مسقط، ومكتبة لبنان/ بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

* **الزركلي، خير الدين:** الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين- ط٥، دار العلم للملايين/ بيروت، أيار (مايو) ١٩٨٠م.

* **سابق، السيد:** فقه السنة -الطبعة الشرعية الثامنة- دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **السباعي، مصطفى:** السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي- ط٣، المكتب الإسلامي/ بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* **السلفي، محمد لقمان:** السنة: حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها- ط١ مكتبة الإيمان/ المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم- ط١ د.ن، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

* **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:** اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة- ط٣- دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- تاريخ الخلفاء -تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة، ١٣٧١هـ.

* **أبو شهبة، محمد بن محمد:** دفاع عن السنة -ط٢، دار اللواء/ الرياض، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:** تاريخ الرسل والملوك -ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **الطنطاوي علي، الطنطاوي ناجي:** أخبار عمر -ط٨، المكتب الإسلامي/ بيروت -١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* **العبدة، محمد سليمان:** حركة النفس الزكية (محمد بن عبدالله بن الحسن): دراسة وتقويم- ط١، دار القلم/ الكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

* **عتر، نور الدين:** منهج النقد في علوم الحديث- ط٣، دار الفكر/ دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* **العراقي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن السخاوي:** -فتح المغيث في شرح ألفية الحديث، ط٢، دار الإمام الطبري، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* **ابن العربي (المعافري)، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد:** العواصم من القواصم -تحقيق: محب الدين الخطيب -ط٥، الناشر: قصي محب الدين الخطيب - ١٣٩٩هـ.

* **العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر:** فتح الباري شرح صحيح البخاري، تصحيح وتعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د. ت.

- تقريب التهذيب -تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- ط٢، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

* **القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج:** صحيح مسلم- إشراف: علي عبد الحميد بلطجي- ط١، دار الخير/

بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

* **ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب:**

- المنار المنيف في تمييز الحديث الصحيح من الضعيف -ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية/ حلب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* **الكاندهلوي، محمد يوسف:** حياة الصحابة - تحقيق: نايف العباس ومحمد علي دولة (وشرح وفهرسة)- ط٥، دار القلم/ دمشق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر:** البداية والنهاية- ط٤، دار المعارف/ بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

* **الكيلاني، إسماعيل:** لماذا يزيفون التاريخ؟ -ط١، المكتب الإسلامي/ دمشق وبيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* **مجلة الدراسات الإسلامية:** الجامعة الإسلامية العالمية- إسلام أباد/ باكستان.

* **المسعودي، علي بن الحسين بن علي:** مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرفة/ بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج** (ناشران): مناهج المستشرقين - عدة باحثين- ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* **الموسوي، موسى:** الشيعة والتصحيح (الصراع بين الشيعة والتشيع)- طبعة١، لوس انجلوس، ١٩٨٧م.

* **هارون، عبد السلام:** تهذيب سيرة ابن هشام - ط٨، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ودار البحوث العلمية/ الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

* * *

* *

*

المحتويات

كتب أخرى للمؤلف

★ **إسلام آخر زمن [٣ أجزاء]:** تفنيد علمي موثق لأباطيل المستشرقين ورجال التغريب، التي انتهبها حسين أحمد أمين ونسبها إلى نفسه.

★ **ملائكة وشياطين:** دحض لأباطيل حازم صاغية - الكاتب بجريدة الحياة - عن الأصولية والغرب والعروبة.

★ **رفيق المسلم في الأسفار [٣ كتيّبات]:** سلسلة شاملة للتسلية المشروعة بالحكمة والطرفة والمعلومات العامة والألغاز . . .

★ **كيف تفحم علمانياً؟:** رسالة تكشف تناقضات العلمانيين وأراجيفهم . . .

★ **للحقيقة فقط [جزآن]:** مقطوعات قصيرة عن أحوال المسلمين وخطط أعدائهم الداخليين والخارجيين بأسلوب لاذع.

★ **الوجيز:** معجم المصطلحات الأجنبية الشائعة - [صدر الجزء الأول - حرف الألف، ويصدر الثاني قريباً - إن شاء اللّه- للحروف: ب، ت، ث]. .

تطلب جميع المؤلفات السابقة من دار المعراج الدولية للنشر

★ **طرائف الأخطاء الصحفية والمطبعية:** صدرت طبعته الثانية عن مكتبة العبيكان بالرياض، كما صدرت طبعته الثالثة بالقاهرة بواسطة مكتبة العبيكان أيضاً.

★ **الكاذب الحزين:** حسين أحمد أمين: عن دار الصحوة بالقاهرة.

★ **ما يطلبه المنطفئون:** خواطر سياسية ساخرة وجريئة [نقد].

العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢

العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢